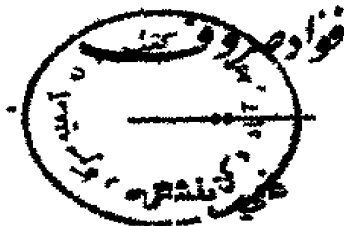


مكتبة

# سفير امير كافى الاندلس

المستر هنري مورغنتو

( تعريب )



يوسف توما البستاني  
صاحب مكتبة العرب بالقجالة

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة القلم بمصر سنة ١٩٢٣



# مذكرات الخديوي نفيير امير كافى البستان

المستر هنري مورغنتو

(تعريب)

فؤاد صروف



يوسف توما البستاني  
صاحب مكتبة العرب بالقجالة

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٢٣



## مقدمة

ان تاريخ الشرق الادنى الحديث حافل بالحوادث الجلية منغم بالانقلابات الخطيرة التي لا يقدر المؤرخ المنصف ان يمر بها دون ان يفسح لها مكانا رحبا فيما يدونه عن احوال الامم في القرن العشرين

وأهم ما يلاحظه الباحث في احوال العمران البشري تنبه روجي عام في كل ارجاء الشرق كان الباعث اليه اساليب الغرب السياسية العقيمة واعتماد دوله على الوعود تارة والوعيد اخرى ، الامر الذي اتفه الشرقيون وسثموه . وزد على ذلك فان الشرارة التي اصابته الشرق من شعله التقدم العلمي الحديث في اوروبا وامريكا حركت مافي نفوسهم من القوى الكامنة والعزائم المدفونة

واجلى المظاهر التي ظهر فيها هذا التنبه الشامل هو قيام الحكومة الوطنية التركية على انتقاض تركيا القديمة (١) التي سار بها الى الهاوية اولئك الزعماء الذين وضعوا المصلحة الشخصية فوق مصلحة المجموع وجعلوا الاستئثار بالقوة والتفرد بالحكم غاية كل عمل يعملونه ومرمى كل سعي يبذلونه

اما تركيا الجديدة (٢) فقد اظهرت انها كفوء لا كبر الدول وأقواها ان في حومة الوغى او في معامع السياسة الدولية وما هي وقفات الجيش السكالي بقيادة الغازي مصطفى كمال باشا في سقاريا واسكي شهر وازمير ومواقف عصمت باشا في مودانيه ولوزان شاهد عدل على صحة ما اقول

اما الكتاب التي سنضعه الآن بين ايدي القراء فهو خلاصة ما كتبه السفير الامريكي في الاستانة من سنة ١٩١٣ الى ١٩١٦ عن اختبارات السياسة فيها

---

(١) والتهضة المصرية الحديثة لا تقل عن تلك اهمية وخطورة

(٢) تركيا اليوم غير تركيا بالامس — من خطبة للغازي مصطفى كمال باشا

واصفاً اساليب السياسة القديمة التي اتبعها زعماء تركيا القديمة في الحكم وادارة  
شؤون الامبراطورية الواسعة مستشهداً على ذلك بحوادث ونوادير وقعت له مع  
اولي الشأن متناولاً بقلمه القارس كل ما رآه بعينه النقادة من الخلل في سير  
الامور غير محاب ولا متحيز فانه قال الصحيح حتى على نفسه

وقد الحقنا بالكتاب جزءاً من مذكرات طلعت باشا الذي ترجمناه في السنة  
الفائتة ونشره الهلال الاغر ومن مقابلة ما فيه باقوال السفير الامريكي يقدر القارى  
ان يحكم على مبلغ صحة المؤلف في سرد الحوادث وتعليقها مع ما في مذكرات طلعت  
باشا من الميل الظاهر الى تبرير اعماله واعمال زملائه

ومنذ ثلاث سنوات قبل الشروع في ترجمة هذا الكتاب كتبنا الى الشركة  
الامريكية التي نشرته اولاً نستأذنها في نقله الى العربية فاذنت لنا بذلك لحقوق  
احادة طبعه محفوظة للمغرب

القاهرة ١٩ فبراير ١٩٢٣



## الفصل الاول

### السفير الالماني

أرى الآن وقد بدأت بتدوين مذكرات حياتي في عاصمة آل عثمان ان مآرب المانيا لتأسيس امبراطورية كبرى تمتد من البحر الشمالي الى خليج العجم قد تمت او كادت (١) فقد اصبحت الآن ولها اليد الطولى في ادارة شؤون تركيا وذلك روسيا بعد ان كسرت جيوشها الجرارة في بروسيا الشرقية وبولونيا وطردتها بمساعدة النمسا من جبال الكربات الى بيسارابيا واجتاحت الجيوش الالمانية سربيا ورومانيا فذلت بذلك آخر الصعاب في سبيل نفوذها الكلي في الشرق الادنى

هل كان هذا النجاح الوقتي ليحقق احلام المانيا في انشاء تلك الامبراطورية الكبرى؟ حينما اضع امامي خريطة المانيا واراجع انتصاراتها الباهرة في الحرب والسياسة تأخذ اختباراتي السياسية في عاصمة آل عثمان طوراً جديداً . لم افهم قبل الآن ان ما حدث في الاستانة اثناء وجودي فيها لم يكن الا جزءاً صغيراً من سلسلة اعمال محكمة الحلقات وأرى الاشخاص الذين لهم علاقة بتلك الحوادث ممثلي رواية محكمة الوضع والتأليف يديرها رجال قديرون . ارى بكل وضوح ان المانيا اعدت معداتها لانشاء تلك الامبراطورية . والبلاد التي ارسات اليها سفيراً كانت حجر الزاوية في ذلك البناء الفخم الذي كان ينوي القيصر ان يشيده . ولو لم يتسنّ لالمانيا ان تملك ادارة الشؤون في الاستانة في اواخر سنة ١٩١٤ لا تقضى شأن هذه الحرب الطاحنة بعد معركة المارن الاولى ببضعة اشهر . ولاتمام هذا العمل العظيم وتحقيق هذا الحلم الجميل انتخب القيصر احد رجاله القديرين الذين عرفهم بالاختبار الشخصي وأرسله سفيراً الى تركيا وذلك الرجل هو البارون فون ونغنهايم

البارون فون ونغنهايم رجل طويل القامة قوي البنية ومع انه كان قد ناهز الرابعة والخمسين يوم التقيت به للمرة الاولى وجدته وماء الشباب يتدفق من

---

(١) كتب هذا الكلام قبل عقد الهدنة سنة ١٩١٨

وجهه ، حاد النظرات قوي التأثير في كل معارفه واصدقائه. كان قد خدم الحكومة الألمانية في سفاراتها في بروجراد وكوبنهاغن ومدريد وأثينا والمكسيك فاكسب بذلك اختبارات ثمينة وحصل مركزاً رفيعاً بين ساستها فلا بدع ان انتخبه الامبراطور منفذاً لما آربه في تركيا .

جمع السفير ونفهايم بين مبادئ الالمان الحربية وحكمة الانجليز السياسية وحدة الذهن وقوة الارادة وحسن الادارة فسهل عليه ان يقنع زعماء الحكومة التركية بما فيه خير المانيا

جاء الاستانة وله غاية واحدة يسعى وراءها وهي ان يؤكد مساعدة تركيا لالمانيا في الحرب التي كان ينوي الامبراطور تسمير نارها. وذلك لان مساعدة تركيا اصبحت ضرورية لانتصار المانيا النهائي بعد ان عقدت المحالفة الروسية الافرنسية وفشلت سياسة المانيا في ابقاء فرنسا وروسيا منفصلتين. وعلم انه اذا فاز في عمله هذا يقطع ثمرة اتعابه ويتقلد اسمى منصب في الامبراطورية الألمانية فصب كل ماله من القوة والحسنة والدربة للوصول الى غايته المنشودة

ويحسن بنا في هذا الصدد ان نذكر شيئاً عن التغييرات التي طرأت على الحكومة التركية بعد الحرب البلقانية الاولى

مضى على المملكة العثمانية عدد من الاعوام وهي تنتقل من دور الى دور ومن حالة الى اخرى طبقاً لما يقتضيه ناموس النشوء والتغير المستمر. ولم تكد تأفل شمس تموز من سنة ١٩٠٨ حتى اسقط عبد الحميد عن العرش ، ذلك السلطان المعروف « بالسلطان الدموي » لما هرقه من الدماء البريئة واستلم زمام الامور نخبة من رجال تركيا الراقون فرجع الابتسام الى الثغور والفرح الى القلوب كأن لم يكن عبد الحميد ولا حكومته التي قضت على تركيا بالتقهقر والخذلان . وتقاءل جميع محبي تركيا بفاتحة عصر مجيد تنهض فيه الامة من كبوتها وتصلح ما افسده فيها رجال الحكومة السابقة فتبني اساساً وطيداً للحكومة قوية راقية

هذه خلاصة حركة تركيا الفتاة وما بعثته في الصدور من الالاماني والآمال لكن اين تلك الاحلام الجميلة والالاماني اللذيذة والآمال الواسعة ؟ ذهبت كلها ادراج الرياح

....



وصلت الى تركيا سنة ١٩١٣ فوجدت ان الحالة كانت قد تغيرت تماماً عما كانت عليه قبلاً

كانت النمسا قد ضمت البوسنة والمهرسك الى امبراطوريتها وايطاليا انتزعت طرابلس الغرب بعد حرب و قتال وحكومة تركيا كانت قد خرجت من الحرب البلقانية بالفشل والخذلان بعد ان خسرت كل اراضيها الاوروبية الا العاصمة وما يجاورها . وهكذا فشلت الحركة التي كانت ترمي الى تأسيس حكومة دستورية فشلاً تاماً وأسباب ذلك لا تخفى على انسان . على انه لا يحسن بنا في هذا الموقف ان ننتقد اعمال زعماء تركيا الفتاة اذ لاشك انهم كانوا مخلصين . وهاك ماقاله انور في احدى خطبه في سالونيك بعد اعلان الدستور — اليوم تتقوض دعائم الاستبداد . فنحن اخوة وتحت هذا الجلد الازرق يفتخر كل منا بأنه عثماني . هذه عبارة تظهر لنا احلام رجال الحركة الجديدة وآمالهم ولكنها احلام لم تتحقق وآمال لم تخرج الى حيز الحقيقة . لان الشعوب التي قاست انواع الآلام ورسفت في قيود الدل والاستعباد قروناً متوالية لم تتمكن من ان تنبذ احقادها وضغائنها بين ليلة وضحاها اثر عبارة كهذه . وهكذا بقيت الاحقاد والضغائن تحت الرماد تنتظر سنوح الفرصة لتتقد وتلهب وهذه الفرصة سنحت حينما خرجت الحكومة من الحرب البلقانية بالفشل والدل والافخاق .

في اوائل سنة ١٩١٣ كان كامل باشا متقلداً منعيب الصدارة العظمى وناظماً باشا ناظراً للحرية وهذان الرجلان كانا زعيمى حزب معروف بحزب الاحرار وسياسته كانت على طرفي تقيض مع سياسة تركيا الفتاة . دخل رجال هذه الحكومة وطيس الحرب البلقانية الاولى وبعد ان خرجوا منها خاسرين واضطروا باشارة من الدول الاوروبية ان يسلموا ادرنه للحكومة البلغارية . عند ذلك هب رجال تركيا الفتاة وفي مقدمتهم طلعت وأنور يتبعهما ما يذيف على مائتي رجل وطلبوا الباب العالي . ولما سمع ناظم من الداخل اللغط والضوضاء خرج الى الباب وقابلهم قائلاً — ما هو سبب هذه الضوضاء ؟ الا تعلمون اننا ندرس امور المملكة للهمة ؟

لم يكدينهى كلمته الاخيرة حتى اصابته رصاصة في رأسه اردته قتيلاً مخرجاً بدمه عند ذلك دخل هؤلاء الى القصر حيث كان اعضاء الوزارة مجتمعين فاضطر كامل باشا ان يستقيل . والذي ساعدهم على اتمام ما يريدون هو ضعف السلطان

الذي لو اراد لتكن من جمع كلمة الاسلام ضدّهم لانه لم يكن سلطان تركيا فقط بل خليفة المسلمين ايضاً

صعد رجال تركيا الفتاة سلم السلطة واعتلوا منصة القضاء بواسطة القتل والترهيب . ولم يتمكنوا من ادارة الاحكام حسبما يشاؤون الا بعد اباداة كل معارض وابعاد كل منازع فعينوا جمال (١) حاكماً عسكرياً للعاصمة رغمًا عن مشاغله العديدة وناطوا به امر تعقب المتآمرين والتخلص منهم فجعل يسجن هذا وينفي ذاك ويأمر باعدام ذلك حتى استتب لهم الامر . وقيل انه في يوم واحد حكم على ثلاثة عشر من نخبة رجال تركيا بالاعدام بينهم امير من الاسرة المالكة . وحينما أتى الامر للسلطان لكي يوقع عليه ووجد ان احد افراد الاسرة المالكة بين المحكوم عليهم طلب وتوسل الي طلعت لكي يعفو عنه ولكنه كان كالمستعير من الرمضاء بالنار لان طلعت وجد فرصة مناسبة ليقرر من هو حاكم تركيا الحقيقي — هل هو السلطان ام زعماء جمعية الاتحاد والترقي ؟ وفعلًا رفض طلب السلطان وتوسلاته وفي صباح اليوم الثاني شنع ذلك الامير المنكود الحظ على رأى من الجمهور فصار اسم طلعت وزملائه كافيًا ليلقي الرعب في القلوب وهكذا انقضى عهد جمعية تركيا الفتاة كجمعية ترى في خير تركيا واصلاحها غايات الغايات . عرف زعماء تلك الجمعية — طلعت وأنور وجمال — ان الغرض الذي جأهروا به لم يعد في امكانهم الحصول عليه فبدلوا كل مرتخص وغال للتفرد بالسلطة والاستئثار بالحكم فبرروا كل واسطة مهما كانت قبيحة في سبيل الوصول لتلك الغاية وبدلاً من ان ارى تركيا مؤلفة من عشرين مليون نسمة يعيشون عيشة سعيدة مظللين بلواء العدل والحرية والاخاء كما كنت انتظر وجدت انها لم تزل عناصر مختلفة تفصل بينها حواجز المصلحة والمذهب والاعتقاد . رأيت الفقر ضارباً اطنابه والمسكنة راقعة قباها وفي كرسي الحكم طلعت وأنور وجمال وقد وضعوا اتباعهم في كل المناصب المهمة فتمكنوا بذلك من ان يديروا دفة الملك حسبما يشاءون تنفيذاً لمصالحهم الذاتية . وهكذا كانت حالة تركيا يوم وصلت اليها — تركيا الفتاة الكل في الكل

---

(١) هو جمال باشا الذي صار اثناء الحرب حاكم سوريا

## الفصل الثاني

### الحكومة التركية وتنفيذ مآرب المانيا

طلعت زعيم تركيا الفتاة الاكبر وركنها الاقوى كان رجلاً غريب الاطوار والصفات . اني لا اعلم حقيقة اصله ومولده ولكن هنالك رأيان متباينان . الاول يذهب الى ان اجداده بلغاريو الاصل اعتنقوا الدين الاسلامي والآخر يقول بانه من عجم البلغار . فاذا صح احد هذين المذهبين — وانا اعتقد بصحة الاول — فهاكم تركيا الحقيقى اذا لم يكن تركياً وانى اعلم حق العلم ان مسألة الدين الاسلامي لم تكن تؤثر مطلقاً في اعماله وقراراته السياسية

بدأ طلعت حياته كمنافل بريد . ثم انتقل الى مركز التلغراف في ادرنة وقد كان يفتخر دائماً بانه لم ينل منصبه العظيم الا بمجده واجتهاده وتيقظه . زرتة مرة في بيته فوجدت مسكنه بسيطاً للغاية مع انه كان اقوى رجل في تركيا . لم اجد فيه طنافس ثمينة ولا رياشا نفيسة ولا اثاثاً غالي الثمن وقد قال لي مرة انه بعد ان وفى ديونه من راتبه الشهرى لم يبق معه الا عشرون ليرة لينفقها على عائلته

لم يصب طلعت من التعليم في صباه نصيباً وافراً لكنه جعل بمجده واجتهاده كل ما يحتاجه في اعماله . تعلم من الافرنسية ما يساعده على مخاطبة السفراء بدون ترجمان ومع انه لم ينشأ على استعمال الشوكة والسكين على مائدة الطعام كان له المام واسع بعادات الاروبيين الاجتماعية فكان يمثل تركيا في كل الحفلات الرسمية . كان طلعت من اولئك الرجال الاقوياء البنية الذين يتمكنون من التأثير في رفاقهم بمظاهر قوتهم الجسدية . واحجب ما كنت اراه في طلعت هو قوة ذراعيه اللتين كان يركزهما على المائدة امامه في كل مقابلاته الرسمية . حدث انى اتيت في احد الايام فوجدته جالساً امام مكتبه مركزاً قبضتيه عليها وعلى وجهه دلائل الحق وامائر الغضب . فبسطت ليديه عدة مطالب ولكنه رفضها كلها قائلاً لا . لا . لا .

عند ذلك تركت مركزي واتيت الى قربه وقلت  
يادولة الوزير . انى اعتقد ان وجود قبضتيك على هذه المائدة سبب كل خلاف بيننا . الا تؤثر رقبهما من هنا ؟

ما كنت انهي عبارتي حتى ضحك ضحكة رن صداها في اطراف الغرفة ورفع يديه معجباً بتلك النكتة ولم يلبث ان منحني جميع مطالبي ذهبت لازوره مرة اخرى فوجدت مكتبه ملائياً ببعض امراء العرب واتباعهم وقد جلس طلعت امام مكتبه برزاة ووقار . بسطت اليه بعض المطالب ولكنه رفضها كلها قائلاً

— لا ! اني لن افعل ذلك . اولا يمكننا ان نسمح بذلك مطلقاً !

علمت انه بجوابه كان يريد ان يظهر امام امراء العرب بمظاهر القوة والسلطة برفضه مطالب سفير دولة عظيمة فاقربت منه وقلت .

اني اعلم الدافع لرفضك الصريح ولكن اعمالي مهمة لا يستخف بها فاذا اردت ان تظهر عظمتك فادع سفير النمسا الى هنا

ضحك طلعت وقال ارجع الي بعد ساعة . رجعت في الوقت المعين وقد انصرف الامراء فاتفقنا بسهولة

قال لي مرة وكنا نبحث في مركز السلطة الفعلية في تركيا لا بد لتركيا من حكم قدير يدير شؤونها . فلم لانحكمها نحن . اي أعضاء الجمعية الاتحاد والترقي . لا تسلكم اسفست لفشل الاتراك في حكومتهم الدستورية وقد بذلت وسعي في سبيل الحصول على حكومة دستورية راقية ولكن ذهبت اعمالي ادراج الرياح لان النمانيين ليسوا بمستعدين لها من حيث الاخلاق والتربية

لم اجد بين كل ساسة تركيا رجل اقدر من طلعت وابعد منه نظراً في تقدير عواقب الامور وفهم العوامل التي تدفع الناس لاصحابهم المختلفة . وقد اظهر مقدراته الفائقة بعد قتل ناظم وذلك بانه لم يتقلد اعظم منصب سياسي في المملكة العثمانية دفعة واحدة مع ان ذلك كان في امكانه . لكنه اخذ يتدرج قليلاً قليلاً بالاستئثار بالسلطة والتفرد بالحكم لكي لا ينفر منه باقي أعضاء الجمعية فيموتون على اسقاطه وقتله . وقال لي غير مرة واحدة اني لا انتظر ان اموت على فراشي .

ولما تقلد منصب وزارة الداخلية اصبحت حكومة الولايات العديدة وقوة البوليس في العاصمة تحت سلطه الشخصية فاستخدمها لتنفيذ ما ربه وما ربه الجمعية التي كان هو زعيمها الاكبر . وكان يدعي دائماً ان غاية الجمعية الاولى هي توحيد الاجناس فجعل بين اعضاء الوزارة شركسياً ومسيحياً ومصرياً .

وهذا الاخير قلده انخم منصب في تركيا — منصب الصداوة العظمى — بعد ان تفاهما ان سلطة الصدر الاعظم تكون اسمية لا فعلية

سعيد حليم باشا — الصدر الاعظم كان رجلاً راقياً يتكلم الانكليزية والافرنسية كار باهما . لكنه كان نفوراً يهوى العظمة وان كانت فارغة . وجل ما كان يطمح اليه هو ان يصير خديري مصر ( كذا ) . وذلك ما جعله آلة في ايدي الاتحاديين املا من انهم سيساعدونه على احراز ذلك المنصب الرفيع

اما المانيا فكانت قد جعلت درس احوال ممالك العالم قاطبة قسماً مهماً من استعدادها الحربي القليل النظير ولما كان مندبو المانيا يرون فرصة سانحة للعمل كانوا يقدمون بدون توان أو تأخر . ولاشك أن سفير المانيا واتباعه فهموا تماماً حالة تركيا السياسية في ذلك الوقت ووجدوا فرصة لاتمام مأربهم وهو التثبت من مساعدة تركيا لالمانيا عند ما تسعر نار الحرب الكبرى

وفضلاً عن ذلك كانت تركيا في حالة تدفعها لطلب مساعدة المانيا دون غيرها من الدول لان الاتحاديين لم يكونوا قادرين على القيام بمهام الحكومة دون مساعدة اجنبية . فتشعروا بالتارخ فوجدوا ان انكلترا صديقتهم القديمة اصبحت عدوهم الالذ — كذا — وروسيا عدوتهم التاريخية قد ساعدت بلغاريا ورومانيا رسمياً على نيل استقلالهما . وكانت لم تزل تعمل على ايصال اذيتها اليهم وترنو الى ماصمئهم بعين الطمع . وايطاليا كانت قد اشتهرت عليهم حرباً عواناً وضمت طرابلس الغرب الى مملكاتها . وفرنسا كانت حليفة عدوتهم روسيا كما انها كانت باذلة وسعها لتقوية نفوذها في سوريا واللفانات

نظر ساسة الاتراك الى حرا اليهم فلم يجدوا دولة يقدرزون ان يطلبوا مساعدتها الا المانيا التي كانت فاتحة لهم ذواعيا فاستقبلتهم بالحنفاة والاكرام وامدنتهم بالمال والرجال وأصبحت في عرف اكثر الاتراك صديقتهم الصدوق ومساعدهم المخلص ولم يتم ذلك الفريد العظيم الا بمساعي ونفعايم وأخوانه

في اوائل سنة ١٩١٤ تقلد انور منصب وزارة الحربية ولم يكن عندئذ قد ناعز الثانية والثلاثين من العمر وكباقي ساسة الاتراك في ذلك الاوان كان من اصل وضيع وانما رُقي الى ذلك المنصب الرفيع لانه نال من اكثرية الشعب لقب بطل الدستور

نال انور شهرة حربية واسعة في تركيا مع أنه لم يكن قد قام بعمل حربي كبير او احرز نصراً عسكرياً عظيماً نعم كان أحد زعماء الدستور ولكن لم يحدث في تلك الثورة السلية ما يستدعي براعة حربية فائقة . وتولى قيادة الحملة في طرابلس الغرب ولكنه لم يبد هناك مقدرة عجيبة تجعله في مصاف عظماء القواد كان اصداؤه يدعونه نابليونك اي نابليون الصغير . زرتة مرة في بيته فوجده جالساً بين جدارين علق على احدهما صورة مكبرة لنابليون وعلى الاخرى صورة فردريك الكبير كانه يقول ان حياة هذين الرجلين كانت مثالا له ينسج على منواله وقد كان يعتقد ان لمستقبل يضمن له مجداً وغزاً كجدهما وغزهما ولكن كل من يدرس اخلاق انور ويختبره يتأكد ان انور لم يشابه نابليون في بعد نظره على الاقل ويظهر لنا ذلك بوضوح اذا تتبعنا الوسائل التي استعملها لتحقيق احلامه وبلوغ امانيه

اظهر انور ميلاً شديداً الى المانيا منذ حدوثه . وبعد سقوط عبد الحميد وعلان الدستور ارسلته الحكومة التركية الى برلين عضواً في احدى البعثات الحربية . هناك تعرف الى الامبرطور فوجد هذا انه يمكن له ان يستعمل آلة لتنفيذ ماآربه فبدا منذ ذلك الحين يعدّه لذلك العمل . ثم قضى انور مدة في برلين كملحق عسكري للسفارة العثمانية وحينما رجع الى الاستانة كان قد تشرب روح المانيا العسكرية واصبحت عاداته المانية اكثر منها تركية . ولما ارتقى منصب وزارة الحربية اخذ ونفهايم يطريه ويمتدح مقدراته الشخصية ووعده بمساعدة المانيا له بكل اعماله حتى امتلك فؤاده وارادته معاً

لم يكد انور يستلم مقاليد منصبه حتى احاد تنظيم الجيش فاقال الضباط الذين كانوا من حزب ناظم باشا اذ عرفوا بالميل الى الحكومة البائدة ووضعهم اما كنهم ضباطاً يريدون جمعية الاتحاد والترقي وارسل منشورا الى كل الثوار والضباط يأمرهم فيه ان ينظروا اليه فقط كمصدر سلطتهم وقوتهم . فذعر طلعت لذلك العمل المفاجيء ولكن انور اظهر عزمه الثابت وقراره غير القابل للتعديل مع انه كان بين الضباط المخلوعين شكري باشا بطل ادرنه وامثاله . ثم طلب رسمياً من الحكومة الالمانية ان ترسل بمئة عسكرية لتبحث في امر تنظيم الجيش التركي على النسق المتبع في المانيا ومع ان طلعت لم يكن موافقاً تمام الموافقة على منح

المانيا ذلك النفوذ القوي رأى نفسه مضطراً لطلب مساعدتها لاتها كانت اقل خطراً من غيرها حينذاك — في نظري وقد نقل اليّ احد معتمدي الدول في الاستانة من حديث له مع طلعت بهذا الصدد ما يأتي

سال ذلك المعتمد طلعت قائلاً

— لماذا تسلمون ادارة شؤونكم الى الالمان - ملحقاً الى البعثة العسكرية الالمانية الاترون ان المانيا- تجرب ان تحول تركيا الى مستعمرة المانية لكي تحقق امانها ؟ فاجاب طلعت قائلاً

اتنا نعرف ذلك تماماً ولكننا ادركنا ايضاً انه لايقوم لهذه البلاد قاعة ما ان لم نستخدم المساعدة من إحدى الدول الاوربية ولذلك ترانا الآن نستعمل المانيا وقوة رجالها ومقدرتهم الفنية لتحقيق امانينا ومتى جاء ذلك اليوم السعيد نقول لالمانيا ولرجالها « رافقتكم السلامة »

وحدث انه بعد وصولي الى الاستانة القيت خطاباً مسهباً في غرفة التجارة اظهرت فيه سوء الحالة الاقتصادية في تركيا وما متصل اليه اذا لم يتدارك ولاة الامر ذلك الفساد واشرت عليهم ان لا يستولي عليهم اليأس والقنوط اذا لم يبلغوا المراد في مدة قصيرة

واتفق ان انور وطلعت كانا حاضرين فتومما خيراً في خطابي وظنا انهما قد يتمكنان من الحصول على مساعدة امريكا المالية فيتمخلصون بذلك من دول اوربا وأستبداد متموليها . كانت فرنسا قد امسدت تركيا بالمال حتى ذلك الوقت وفي صيف ١٩٠٤ كان ماليون فرنسا يتفاوضون بشأن عقد قرض آخر ولم يتمكنوا حتى ذلك الوقت من الاتفاق . ولم يرسله تركيا من الحكمة ان يعقدوا قرضاً المانياً كبيراً لسقوط سعر المارك الالمانى . لذلك اتاني في كانون الاول ١٩١٣ سليمان البستاني — ناظر التجارة والزراعة وسألني ان اخبر مصارف امريكا بشأن عقد قرض اميركي . وسألني هل كان يوجد في الولايات المتحدة رجال اخصاء يأخذون على عاتقهم امر تنظيم مالية الدولة العثمانية - وكان في طلبه رنة يأس وقنوط اما انا ولم يكن قد مضى علي اكثر من ستة اسابيع في تركيا رأيت من الحكمة والصواب ان لا ابدي رأياً في الامر قبل ان اتمكن من درس حالة البلاد الاقتصادية درساً دقيقاً

مضى اسبوع ولم يحدث ما يستحق الذكر بذلك الشأن واذا في اواخر الاسبوع قد اتاني طلعت وعرض عليّ ان اسافر على نفقة الحكومة الى انحاء المملكة العثمانية لكي ادرس الحالة الاقتصادية والاجتماعية وطلب الي ان ابذل جهدي لمقدقرض صغير حينذاك لا يزيد على خمسة ملايين جنيه حتى انتهي من رحلتي فاجبته بانني سابدل منتهى جهدي لاجمع لهم ذلك المبلغ وساعمل باقتراحه الاول اي التجوال في انحاء المملكة لدرس الحالة الاقتصادية

طلبت الرخصة من نظارة الخارجية في واشنطون فحصلت عليها وفي نفس الوقت كتبت الى احد اقربائي ليبعث مما يكون موقف مصارف الولايات المتحدة تجاه قرض اميركي - تركي فورد الجواب ان اصحاب المصارف لا يعلقون اهمية على ذلك ولكن هنالك انسان يدعي المستر بلنغز قد اظهر ارياحاً لذلك المشروع وصما قليل سيبحر علي يخته الخاص الى الاستانة ليقابل اولي الامر ويبحث معهم في ذلك الشأن لم تكذب تنشر اخبار عجى بلنغز حتى اخذ اصحاب السلطة في الاستانة يكبرون ذلك الامر ويمظمون عليه من الحواشي والهواشي ما شاءه الخيال والتصور لان عجى احد كبار اغنياء اميركا على يخته الخاص الى الاستانة للاهتمام باصلاح مالية تركيا بداهم امراً عظيماً للغاية

وصل مستر بلنغز واجتمع باكثر اعضاء الوزارة ولعبت زيارته دوراً مهماً ولكن القرض لم يعقد لان اصحاب المصارف في فرنسا اسرعوا للاتفاق مع الحكومة العثمانية حينما علموا بمجيئه

ولكن زيارة مستر بلنغز وتعرفه الي طلعت واعوانه خففت كثيراً من متاعبي اثناء وجودي بالاستانة في تسوية بعض المسائل وخلصت عدداً كبيراً من الاميركيين وغيرهم من الجوع والبرد لان طلعت واصحابه باتوا ينظرون الي كرجل محب لمصلحة تركيا دائب على مساعدتها واصلاحها



## الفصل الثالث

ممثل القيصر الخاص — تداخل المانيا في الشؤون التركية

لم تكد تمضي الشهور الاولى من عام ١٩١٤ حتى كان النفوذ الالماني باسطقاً جناحيه فوق كل دوائر الحكومة الاولى . وليان فون سندرس كان قد وصل الى الاستانة واصبح صاحب اليد الطولى في ادارة شؤون الجيش التركي وتنظيم فرقته وتدريب ضباطه . كانت تركيا قد استدعت قائداً المانيا — فون درغلنز — لتدريب جيشها وتنظيمه واميرالاً اسكليزيكاً — الاميرال لميس لتنظيم بحريتها . ولم يمض ربح قصير من الزمن حتى فهم الجميع ان مهمة ليمان فون سندرس العسكرية لم تكن تشبه مهمة فون درغلنز او لميس مطلقاً . ولكي يفهم القارىء حقيقة تلك المهمة اقول ان قوة الحكومة في العاصمة كانت تحت سلطة القيلق الهمايوني الاول وحالما وصل الجنرال فون ساندرس عين قائداً لذلك القيلق وعين الجنرال فون شلندروف رئيساً لاركان الحرب

لم يكد يعلم سفراء الدول بما جرى حتى اجتمعوا وطلبوا الصدر الاعظم واحتجوا على اعلاء فون سندرس الى منصبه الحالي . فاجابتهم الوزارة التركية ان ذلك التعيين لم يكن من الالهمية بمكان عظيم ولكن بجارة لطلب السفراء اقبل فون سندرس من مركزه وعين مفتشاً عاماً للجيش ولكن لم يغير هذا التعيين الاخير الحالة لان ليمان فون سندرس اصبح في مركزه الجديد اكثر سلطة وتفوقاً منه في الاول

هذه خلاصة العلاقات الالمانية التركية قبل ابتداء الحرب — جنرال الماني رئيس اركان حرب الجيش التركي وجنرال الماني آخر مفتش الجيش العام وضباط عديدون يشغلون مناصب مهمة في الجيش التركي . وانور باشا الالماني قلباً وقالباً متقلد منصب نظارة الحرية ووكيل قائد الجيش العام

وقد جرى في بيتي حادثة دلت على اخلاق ليمان فون سندرس واظهرت لنا بعض الاسرار السياسية التي كانت لم تزل غامضة

في ١٨ فبراير شباط ١٩١٤ اعددت وليمة رسمية دعوت اليها النظار والسفراء وغيرهم

من له علاقة مهمة بسياسة البلاد . ومن جملة المدعوين كان القائد ليان فون ساندروس .  
وحدث ان مركز القائد الى مائدة الطعام كان قرب ابنتي روث . جلس لابساً  
بدلته العسكرية الرسمية . والنياشين والاورسمة تسطع على صدره ولكنه بقي صامتاً  
رغمًا عما قاسته ابنتي من الصعوبات لتجربه الى حديث معها

وبعد انتهاء المائدة اتاني فون ميوشس احد الملحقين بالسفارة الالمانية وامائر  
الحنق بادية في وجهه وقال بعد ان جرب ان يملك قياد نفسه  
- يا حضرة السفير لقد ارتكبت خطأ فادحاً

فصعقت لهذه العبارة وقلت

— ما هو ذلك الخطأ . فقال

— انك اغضبت الفيلد المرشال فون ساندروس لانك وضعت الى مائدة الطعام  
في مركز ادنى من مراكز بقية السفراء وهو ممثل القيصر الشخصي وعلى الاقل يجب  
ان يكون مركزه معادلاً لهم . بل يجب ان يكون ارفع من السفراء والنظار معاً .  
لم اكن انا الذي رتبته المراكز لحسن الحظ — بل كنت قد ارسلت القائمة الى  
سفير النمسا المركز بالافيسيني وكان اذ ذاك اكبر ثقة في العاصمة على هذه المسائل  
الدقيقة . فكتب المريكز امام كل اسم رقماً هندياً بحبر احمر يدل على مركزه وكان نمرة  
فون ساندروس ١٣ فجاءت كرسيه قرب اخر المائدة فحنق وغضب ولم يفه بكلمة  
انتهاء المائدة

جربت جهدي ان افسر ذلك لفون ميوشس ودعوت المسيو باتيلي احد  
مستشاري السفارة النمساوية — وكان بين المدعوين — وسألته ان يجرب جهده  
ليزيل سوء التفاهم فتصحح ظاهراً ولكن السفارة الالمانية لم تترك تلك المسألة وشأنها  
وبعد مضي عدة ايام ذهب سفير المانيا لزيارة المريكز بالافيسيني فسأل عن تلك  
الحادثة قائلاً

— اذا لم يكن فون ساندروس ممثل القيصر فمن يمثله اذا ؟

فاجابه المريكز

— لم تجر العادة ان يكون للقيصر ممثلان رسميان في عاصمة واحدة ولما رأي  
ونقنهايم ان البحث لا يجديهِ تعماً رفع الدعوى الى الصدر الاعظم فحولها هذا الى  
مجلس الوزراء ليبت حكمه فيها

فبحث هذا المجلس بحثاً دقيقاً في هذه المسئلة وقرر أخيراً ان مركز ليان فون ساندرس يجب ان يكون ارفع من مراكز السفراء ولكن ادنى من مراكز النظار ولم يكديعلم السفراء بهذا القرار حتى رفعوا احتجاجاً قوي اللهجة وعزموا ان يتركوا الحفلات الرسمية ممّا اذا جعل مركز ليان فون ساندرس ارفع من مراكزهم وكانت النتيجة بعد هذه الحادثة انه لم يدع ليان فون ساندرس الى حفلة رسمية مطلقاً. ومن اظرف ما قيل في هذه الحادثة عبارة نطق بها السر لويس ماليت السفير الانكليزي قال - نشكر الله لان هذه الحادثة لم تقع في بيتي او سفارتي اذ لو حدثت فيها لكانت صحف العالم حبرت المجلات الزفافية عن توتر العلاقات بين اسكترا والمانيا انتهت هذه الحادثة وانقطع ذكرها ولكن ليان فون ساندرس أفشى سرّاً سياسياً عظيماً بتصرفه ذاك. كان اسكل يعتقدون انه جاء تركيا لينظم جيشها ولكن اكتشفنا بعد تلك الحادثة البسيطة ان ليان فون ساندرس كان ممثل القيصرا الخاص انتخبه كما انتخب ونفهام من قبله آلة لتنفيذ ما ربه وتحقيق احلامه اما انا فارسلت الى نظارة الخارجية في واشنطن واطلعتها على الحادثة تماماً واظن ان باقي السفراء فعلوا نفس الشيء والماجور جون تايلر للمحق العسكري بالسفارة الامريكية في الاستانة خلق عايتها اهمية كبرى وبعد هذه الحادثة بنحو شهر كان الماجور تايلر والقبطان ماكولي قبطان البارجة الامريكية الراسية في مياه البفور في القاهرة قدعيا لتناول طعام الغداء مع اللورد كتشنر فاطلع الكبتن اللورد على هذه الحادثة ولما انتهى نظر اليه اللورد كتشنر وقال

وأية اهمية تعلق على هذه الحادثة؟

فقال الكبتن ماكولي

اني اعتقد انها تعني انه عند نشوب الحرب الكبرى تكون تركيا حليفة المانيا واذا لم تساعدنا فعلياً في كل المقدمات الحربية فعلى الاقل ترسل قسماً من جيشها الى القوقاز فيدشغل قسماً من الجيش الرسمي فتتخف وطأة روسيا في الجبهة الشرقية. فاصفى اللورد كتشنر الكلمات ووقف مفكراً ثم نظر اليه وقال  
— اصادق على ماتقول

.....

مضى عدة اشهر والضباط الالمان يدرسون الجيش التركي كأنهم كانوا يعدونه للحرب المقبلة. وفي اوائل يوليو (تموز) استمرض بركة السلطان وبرفته خديو مصر وولي العهد ذلك الجيش. في هذا الاستعراض وجدنا الجيش التركي الذي كان منذ ستة اشهر مجموع رجال لا نظام لهم ولا ترتيب اصبح الآن جيشاً منظماً على احسن الطرق الالمانية يديره ضباط المان قديرون

وحينما دعاني جلالة السلطان الى مضر به الخاص بعد انتهاء الاستعراض هنأتني على ذلك التقدم السريع فابدى اسفه على ما رآه من الاهتمام بتنظيم الجيوش لانه علم ان ذلك لم يكن الامقدمة لحرب طاحنة تلتهم الاخضر واليابس وقد كان جلالة محباً للسلام

لاحظت اثناء الاستعراض ان مراكز سفراء انكلترا وفرنسا وروسيا الخاصة كانت فارغة ولما سألت عن السبب قال لي ونفهم ان نار الحسد كانت قد اكات قلوبهم ففضلوا التخلف عن الحضور

\*\*\*

### — بين تركيا واليونان —

بحسب نصوص معاهدة لندن التي عقدت في ٣ ايار سنة ١٩١٣ بقي كل من جزيرتي كيوس وميتيليني تحت سيطرة اليونان وركزها الح في لا يخفى على الطلع. وفي نفس الوقت كانت الزحمة والاحتكاك بين العنصرين اليوناني والتركي تزداد يومياً وخصوصاً في المدن التي كانت على شواطئها. يا انصغري التي كان ينظر اليها اليونان كقسم من مملكتهم العظيمة التي نشأت عند فجر التاريخ. وان لنا في ازميز مثلاً واضحاً على الحالة التي كانت مستولية عندئذ. ان بحارة ازميز واكثر ما فيها من صنائع ومكاسب وموارد للأرتزاق كانت يراها سكانها اليونانيون الذين هم هؤلاء اليونانيون كانوا اسمياً تحت الطاعة لولا انهم لم يرضوا بالبراطورية العثمانية ولكن بالحقيقة سرّاً وجهاراً — كانوا يمارسون الى مملكة اليونان ويبدلون وسعهم لمساعدتها ولذلك كان الاتراك يدعون تلك المدينة «بأزمير الخائنة» (١)

فهم سياسة ثانيا وجود النفوذ بين العنصرين اليوناني والتركي وعرفوا تمام

(١) ان ما حدث لازميز بعد الحرب الكبرى معروف لدى الجميع

المعرفة ان وجود اليونانيين في اسيا الصغرى كان حائلاً منيعاً في سبيل وصولهم الى صالتيهم المنشودة — اما الزكري — فاحذر ان يغرون صدور الاتراك حقداً عليهم وأشاروا باسمه الى «السيد الاندلس» لانه على امني اليونانيين الوطنية والتخلص منهم . فوجد هذا الذداء اذاً مبالغية و زعماء تركيا انفتاح فبدأوا لاجال بنقل اليونانيين من عمل الى آخر وقد صرح لي ١٠٠ ذلك الامير ان يوزد الماني ان مقاصد الانبا لم تكن الاحرية فقط . وحينما انتدبت الظائع وأنذرت الشركات الاميركية الوجود بأزمير بأن تقبل من خدمتها يونانيين رتستخدم بدلا منهم اتراكا نضب صبري وذهبت الى طاعت رفات له — ان اعمالكم هذه السائبة ستترك لكم قطعة سوداء في التاريخ و تتخلد لكم ذكراً مكروهاً بين متمدنة الارض وخصوصاً في الولايات المتحدة . فأخذت طاعت يشرح لي اسباب تلك الاعمال ومقدماتها ملقياً التبعة على الاقوام البديدة التي كانت خاضعة للسلطان التي كانت السبب الوحيد لعقد املاك تركيا الشاسعة و ارها المترامية الاطراف الى انه قال — واذ كانت البقية الباقية من تركيا توحى الحياة فيجب ان تكون تركيا للاتراك . وذلك هو تمام ما فعله الاتراك بالشعب الارمني — انما كان أشد هولاً واكثر فظاعة — ولكن كان للعنصر اليوناني حكومة مستقلة تفكر بمصالح شعبها اينما حل وعلم زعماء الحكومة العثمانية انه لا بد لاعمالهم تلك ان تجرهم لخوض غمار حرب عوان مع دولة اليونان انهم لم يجرؤوا ان يضعوا حداً لتلك الفظائع لان الحقد كان قد بلغ من رعايا الاتراك لما لم يتمكنوا بعده من ضبط انفسهم فشرعوا باكتتاب كبير لكي يشتري مدرعة قرية كانت تبنيها الحكومة البرازيلية في احواض انكلترا . والحكومة العثمانية تسها كانت قد اوصت على مائة اخرى من نوع الدردنوط في انكلترا وعددها من الغواصات والدمرات و فرنسا . والدفع لهذا التأهب البحري العظيم كان معارفاً في الانذية السياسية في العاصمة لاذ الحكومة كانت قد عازمت ان تخرج الحرب عن اليونان . لما يتم تأهبها ذلك . وبات الكل ينتظرون استعمار نار الحرب في القريب العاجل

ولكن اتاني جمال باشا في ايلول من ان (يرنيو) ركان اذ ذاك ناظر البحرية وأحد الثلاثة الذين كانوا يدرون دفعة السيار . كيف رأيت على وجهه امائر الغضب والاضطراب ولما بدأ كلامه بواسطة الترجمان لاسيما ان شعر لحيته ينتفض من شدة

غضبه وتهيجه . فهمت من حديثه ان حكومة اليونان كانت تخبر حكومة الولايات المتحدة بشأن ابتداء مدرعتين من الاسطول الاميركي — ايداهو وميسسي — وألح عليّ ان اتدخل في المسألة وأمنع البيع . قال :

— ان الاتراك ينظرون اليكم كصديق خاص وأنتك يا حضرة السفير اعربت من قبل عن تشوقك لمسا دتنا فها قد سنحت لك فرصة مناسبة فلا تدعها تضيع سدى اما البراهين التي قدمها جمال فهذه خلاصتها . - ان حكومتي اليونان وتركيا على شفا حرب كبيرة فيبيع هاتين المدرعتين بعدد عملاً مخالفاً لقوانين الحياد . واذا كان هذا البيع عملاً تجارياً بحتاً فلتعط الحكومة التركية فرصة لتزيد على الثمن الذي دفعته الحكومة اليونانية « اذن نحن مستعدون ان ندفع أكثر من اليونان »

وحيث ان الاتراك كانوا قد اعلنوا عن رغبتهم في اشهر الحرب حالما تقتضي مدرعتهم الأولى بادر اليونان للمخاطبة مع حكومة الولايات المتحدة بشأن ابتداء تينك المدرعتين — ايداهو وميسسي — ولم تكونا من الطراز الاول ولكن بمساعدتهما كان يتمكن الاسطول اليوناني من الانتصار على اسطول تركيا قبل ان تأتي المدرعتان لنجدته . ولذلك كانت الحكومة اليونانية قد عازمت ان تهاجم تركيا قبل ان تستلم المدرعتين الكبيرتين

اما السفير ونفهايم فاهتم بهذه المسألة اهتماماً عظيماً واني لا ذكراني بعد زيارة جمال لي كنت ذاهباً مع ونفهايم «لنزع غارج المدينة واذا به قد بدأ يتكلم عن موقف اليونان حتى توصل الى موضوع اليونان والمدرعتين الاميركيتين وأراد ان يقنعني ببراهين استدلت من سرده لها أنه علم جمال ان يذهب الي ويطلب مني ان اتدخل في المسألة وعلمه ماذا يقول والدائرة النائرة هي من جملة ما قال لي تصور ان اميركا على شفا حرب مع عدوتها اليابان وان انكلترا ارسلت اسطولاً ضخماً لشد ازرحليفتها الشرقية فاذا يكون شعور الرأي العام في الولايات المتحدة ازاء عمل انكلترا

ثم أردف كلامه هذا بعبارة ولا يزال صدياً ما يرن باذني واني لا ازال اذكره على متن جواده واقفاً وهو يقول «اني اعتقد ان الولايات المتحدة لا تسلم حقيقة ماهي فاعلة لان مجرد بيع هاتين المدرعتين قد يذكي نار الحرب الأوروبية الكبرى »

نطق ونفهايم بهذه العبارة في الثالث عشر من حزيران (برنيز) سنة ١٩١٤ قبل

ابتداء الحرب الكبرى بنحو ستة أسابيع . علم اذ ذاك ان المانيا كانت تتأهب لذلك المراك الهائل وان استعدادها له لم يكن قد تم وكباقي السفراء كان يسعى بكل ما لديه من الحنكة والدربة لمنع حدوث أزمة ما تكون سبباً لاشعال نار الحرب قبل ان تتم المانيا استعدادها النهائي

اخيراً اقترح عليّ ان ابرق الى الرئيس ولنس فأوضح له حراجة الموقف ولكنني رفضت ذلك الاقتراح في الحال

وفي جمال ورفاقه يترددون علي ويطلبون مساعدتي فأشرت عليهم اخيراً ان يخبروا سفيرهم في واشنطن ليخبر الرئيس رأساً لعلمهم يفلحون . فعملوا حسب اشارتي ولكن ممثل حكومة اليونان كان امرح منهم اذ في الاءة الثانية بعد ظهر ٢٢ حزيران ( يونيو ) اتى للملحق العسكري اليوناني و واشنطن مع الكومندان تسوكلاس الى مكتب الرئيس ولنس امضيا شروط البيع ولما تركا لمكتب تنقيا بالسفير العثماني ذاهبا اليه بذات الشأن وكان قد تأخر بضع دقائق فقط

استلم اليونانيون الدرعتين وغيروا اسميهما واخذوا يباهون بهما مهددين تركيا لانهما كانتا اقوى مدرعات الاسطولين اليوناني والتركي على الاطلاق في اثناء هذه المدة كنا قد انتقلنا الى مصيفنا حيث تجتمع كل السفارات في بقعة جميلة من الارض تطل على البسفور — ذلك الممر الضيق الذي طالما كان سبباً لحروب طاحنة اهلكت لوفاً ومئات الالوف قضيا شهر يوني و يوليو بفرح رهناء وكنا قتریباً نجتمع معاً كل يوم هذا يتباحث مع ذاك وذلك يملق على الاسئلة اليونانية من الحواشي والهواشي ماشاء الخيال والتصور . هنا الصدر الاعظم وحوله عدد من السفراء والملحقون وهناك اعضاء الوزارة يتهاسون . انما شيء واحد لاحظته في حديث الجميع وهو ذكر الحرب . وظهر لي ان كلاً منا كان يعتقد ان تلك الحياة السعيدة الهادئة صارت على وشك الانتهاء وانه في كل دقيقة كان ينتظر نظير شرارة تبعث في أوروبا لهيباً لم ير مثله التاريخ

ولكن لما وقعت النكبة لم لاحظ تغيراً مهماً . في ٢٢ تموز ( يوليو ) وردتنا اخبار مقتل ولي عهد النمسا وزوجته فتلقينا الاخبار بسكون ووزينة . اجتمعت بطلعت بعد مضي يومين وتباحثا ملياً في الموقف السياسي ولكنك لم تبد ادنى تلميح

الى ذلك ولا علق حاشية واحدة على ذلك الحادث . وأنى اعتقد الآن اننا اصبنا  
اذ ذاك اضرب من التذنج في المواطن فلم تقاق ولم تهيج  
ولكن لم يضر روح قصير من الزمن حتى فكت اللسنة من اعتقالها وبدأ  
الكل يتكلمون ولكن عن ماذا ؟ — حرب ! حرب ! حرب ! حرب ! حرب  
طاحنة ! ولما اجتمعت الملحق العسكري الالماني ومراسل الثفرانكفورت زيتونغ ( ١ )  
وبعض المستشارين قال احدهم عند وقوع الحرب ستتهز الولايات المتحدة الفرصة  
الساحة فتستأثر بتجارة قارتي اميركا

ثم لما زرت المركز بالافيسينى النمساوي لاثوب عن الامة الاميركية بتقديم  
فروض التعزية له استقبلني وعلامات الحزن والكآبة بادية في محياه كأنه فقد  
ولداً وحيداً . وأعربت له عن تقوري الشخصى وتقور امتي من ذلك العمل القوضوي  
الشنيع . فقال — نعم — نعم . ان ذلك العمل فظيع ولكن سرييا ستعاقب على  
صمها . يجب عليها ان تموت . وزارني بالافيسينى بمد ذلك بمدة ايام فأخذ يتكلم عن  
الجمعية الوطنية السرية التي كانت ترمي الى ضم البوسنة والهرسك الى سربيا وقال  
ان حكومته ستلج على حل هذه الجمعيات ربه قبتها عقاباً شديداً وذلك كان محور  
البلاغ النهائي الشهير الذي ارسلته النمسا الى سربيا

في الرابع من تموز ( يوليى ) اقيمت حفلة تذكارية في كنيسة القديسة ماري عن نفس  
الارشيدوق والاشيدوق . جلس السفراء في المقاعد الامامية ولا ازال اذكر ذلك  
المنظر المبهوب لانه كان آخر مرة اجتمعنا فيها معاً . حينما انتهى الاحتفال ركبنا  
سياراتنا وذهبنا الى بيوتنا . ذلك النهار كان الرابع من شهر يوليو — نهار عيد  
الحرية الاميركية — وكل المدرعات في المرافئ كانت مزدانة بالاعلام نهاراً  
وبالانوار ليلاً

لم يكد ينتهي السفراء واعضاء الوزارة من القيام بالواجب نحو الارشيدوق  
القتيل حتى بادروا الى السفارة الاميركية ليهنئوا ممثل الشعب الاميركي بعيد  
استقلاله المجيد

ولكنني لاحظت ان شخصاً واحداً كان متغيباً عن الكنيسة والسفارة وكان قد  
عودنا رؤيته في كل مكان . ذلك الشخص كان . فون ونفهايم السفير الالماني



تعجبت لتغيبه ولكن زال العجب حينما عرفت السبب وذلك انه كان في المانيا  
لان القيصر دعاه لاجتماع خصوصي عقد في بوتسدام في الخامس من شهر يوليو  
وقرر ذلك المؤتمر ان يدير رحي حرب طاحنة لا تبقي ولا تذر

## الفصل الرابع

المانيا تعد جيش تركيا

انقضت الايام القليلة بعد حادثة سراجيفر والصف الاوربية لا تلج الا  
بذكر الحرب واعداد الجنود وتجهيزها وتتغنى بالوطنية الصادقة التي كانت تبديها  
جميع الشعوب في سبيل دفاعهم عما يمتقدونه حقاً وعدلاً  
اما تركيا فلم تكن قد خاضت غمار تلك الحرب الطاحنة واعلن مديرو دفعة  
سياستها أنهم سيحافظون على الحياد التام . ولكن رغماً عن كل هذه الاقوال  
العلنية كان يظهر من مراقبة سير الامور في الاستانة ان تركيا لم تقلع عن باقي الممالك  
الاوروبية تأهباً للحرب . فبدأت بتعبئة جيشها تحذراً من طارق مفاجيء  
ولكن شتان بين ما رأيناه في عاصمة آل عثمان وما كان يحدث في عواصم  
اوروبا . — ان ما يديه الرجال من الشجاعة المادرة وما تظهره النساء من الاستعداد  
لبذل كل شيء في سبيل الوطن يلبسان فظائع الحرب واهوالها حلة فشيبة اذ تصبح  
مظهراً تتعلى فيه العواطف الشريفة فنسى ما تجرّه تلك الاعمال من الاهوال  
والويلات والمصائب

لكن لم أر مدة اقامتي في الاستانة اثرأ ما في هيئة واعمال الجنود العثمانيين  
يدل على ان افئدتهم تنطوي على شجاعة وثبات ووطنية صادقة  
كنت اري في صباح كل يوم الجنود يمشون في ميادينهم وبيوتهم  
الويلتهم فوق رأس التركي والعربي والارمني والشركسي وغيرهم وعلامات الفقر  
والجوع وانتعب بادية على وجوههم . لم ار في عيونهم نور الفرح الذي طالما نجد  
في جنود يرقصون طرباً عند اقتراب المعركة لاعتقادهم انهم يدافعون عن حق مهضوم  
لانهم ( الجنود العثمانيون ) سيقوا الى القتال رغماً عن ارادتهم وعواطفهم (١)

(١) ما اشد الفرق بين هذه الحالة وحالة الجيش التركي الوطني بعد الهدنة

لم تكن قد تحققنا بعد المركز الذي صدرت منه الاوامر لتعبئة الجيش العثماني  
ولكن علمنا بعدئذ ان مصدرها لم يكن انور ولا سلعت ولا الوزارة العثمانية  
ولا جمعية الاتحاد والترقي بل صدرت من مركز القيادة العامة في برلين بواسطة  
ممثلها في الاستانة

كان الجنرال فون سندرس وبرونساريديران هذه الاعمال المهمة بمساعدة  
الضباط العديدين لانه حالم اجتازت الجيوش الالمانية نهر الرين ارسل مركز  
القيادة العامة في برلين تعليمات لاسلكية الى السفير الالماني في الاستانة ليبدأ  
بتنفيذ ما قضى الليالي الطوال في سبيل اعداد طريقه - وهو مساعدة تركيا الحربية  
ان قوانين الحياد لا تجيز ان يكون لدولة ما محطة لاسلكية في ارض  
مملكة اخرى لا تزال على الحياد ولو اسماً فقط . لذلك اعلن السفير الالماني ان  
المحطة اللاسلكية المظيمة التي كان يبنها الالماني في ضواحي العاصمة اصحت منذ  
تلك الساعة تحت سلطة الحكومة العثمانية . ولكن لم يقمع هذا السبب احداً منا  
حتى ان لغنايم نفسه كان كثيراً ما يشير اليها « كمحطتنا اللاسلكية الجديدة » وكثيراً  
ما كان يقول لي

— لذهب معاً ، نراها . انها من اعظم المحطات اللاسلكية في العالم فتمكن  
من الاطلاع على الرسائل الصادرة من برج ايفل في باريس . وعرض علي استعمالها  
مراراً عند انقطاع سبل المواصلات العمومية

اما عن حركة الضباط الالماني فحدث ولا حرج . هم كانوا يديرون حركة تعبئة  
الجيش ولم يكن انور يقوم بعمل ما قبل استشارتهم . وفي نهاية ذلك الشهر  
غصت الشوارع بهم وبسياراتهم العديدة التي كانوا قد جمعوها من السكان فيسبرون  
بها بسرعة عظيمة معرضين الاهالي لخطر الدهس ، وامسأت بهم القهوات والملاهي  
يتعاطون بنت الحان على انواعها بعد ان نهبوا من التجار قوة وقسراً

وذلك هو المبدأ — مبدأ النهب — الذي تمثت عاينه الحكومة التركية في  
جميع ما يحتاجه الجيش من مؤن وذخائر

وتفصيل ذلك ان الضباط الالمان كانوا يقعدون على كل حصان او بغل او  
جل او بقرة او خروف ويأتون به الى الأمور المعين لذلك وفي احد الايام اجتمعت  
بانور باشا فقال لي انهم جمعوا ما ينيف على ١٥٠٠٠٠٠ من الحيوانات المتفرقة

وكان عملهم هذا — كما سيجيء — من اعظم العوامل التي ادت بالوف من النفوس للموت جوعاً وذلك لانهم لم يتركوا من الحيوانات في المزارع والحقول ما يكفي للقيام بعمل الفلاح فانحطت الزراعة وقل القوت والطعام

وعدا ذلك كان الضباط الاتراك يدخلون مخازن التجار الكبيرة ويأخذون ما لديهم من البضاعة ثم يمتطون صاحب المحل ورقة يقولون فيها انهم استلموا كذا وكذا . ولكن التجار كانوا يعلمون ان الحكومة لم تدفع ثمن ما اخذته في حربي طرابلس والبلقان فلم ينتظروا ان يقبضوا ثمن بضائعهم المسلوقة . لكن عدداً من الذين كانوا يعرفون القانون وكان لهم قوة سياسية يستندون اليها طلبوا من الحكومة ان تسع فلم شيئاً مقابل ما خسروه فحصلوا تقريباً ٧٠ بالمائة ولا يجمل أحد مصير الثلاثين في المئة الباقية — جيوب الضباط !!

ومن اطرف ما عرفت عن اعمال الضباط بهذا الخصوص — عمل يضحك ويبكي معاً وهو ان بعضهم دخلوا احد المحلات واذ لم يجدوا شيئاً يتمكنون من نهبه باسم الجيش اخذوا ما وجدوه فيه من كسرات حديدية ومشدات للسيدات وفرضوا على رجل آخر يتاجر بثياب الاولاد والسيدات ان يقدم عدداً معلوماً من الاحرامات واذ لم يفعل ذلك في الوقت المضروب نهبوا ماله من البضائع وبعد عدة ايام رأى بضائعه في مخازن جاره معروضة للبيع

تلك هي الطريقة التي استعملها الضباط لجمع الاموال رايت انور في احد الايام وقد اشتدت وطأة الضباط على الفلاحين والتجار فقلت له ان تلك الاعمال تؤدي بالمملكة الى خراب عاجل ودمار اكيد . ولكنه لم يعبأ بأقوالي ولم يحقق فتواده المآل لتلك الاعمال بل كان يفتخر بأنه انشأ جيشاً كبيراً مجهزاً من لاشيء

بلغ عدد الجنود التي جمعها انور نحو المليون ونصف المليون وبقي نحو مليون عائلة في انحاء المملكة وليس لهم من يساعد على القيام باعباء الحياة والجوع فتك بهم فتكاً ذريعاً ! اما الحكومة التركية فكانت تدفع لكل جندي في جيشها نحو ربع ريال في الشهر

وما سأقوله عن تداخل الالمان في هذه الاعمال ايس مبنياً على اعتقاد شخصي بل على براهين حسية احدها أن الالمان كانوا يجمعون كثيراً من الحاجات والامتعة

بأمر الحكومة الألمانية . ولدي الآن صورة فوتوغرافية يظهر فيها الملحق العسكري الألماني يستلم شخص سفينة كان قد طلبها أحد تجار العاصمة وقارنخ الصورة ٢٩  
أيلول سبتمبر سنة ١٩١٤

فترى إذا أنه قبل أن تدخل تركيا في الحرب نحو شهر كامل  
كان الألمان في طاعتها أصحاب الأمر والنهي

## الفصل الخامس

غون وبرسلو

في العاشر من شهر آب (أغسطس) ذهبت لملاقة باخرة إيطالية كانت قادمة من  
البندقية وعليها ابنتي وصهري وأولادهما . ولم تكد تقع العين على العين حتى  
لاحظت علامات التهييج بادية على وجوههم فسألتهم عن السبب فقالوا أنهم شاهدوا  
معركة بحرية في بحرايجه . ولما وصلنا إلى البيت سألت ابنتي عن تفصيل ذلك فقالت  
— كنا بالأمس نتناول طعام الغداء على ظهر الباخرة وإذا بي أرى سفينتين غريقتي  
الشكل عند الأفق . فأسرعت إلى المنظار وحوالته إليهما وعرفت أنهما مدرعتان —  
الواحدة احتيادية والثانية ذات شكل مخصوص لم أقدر أن أتبينه جيداً

راقبتهما وإذا بسفينة صغيرة الحجم خفيفة الحركة تقترب منهما بسرعة ثم  
سمعنا طلقات مدافع . لم تفهم في بادئ الأمر حقيقة الواقع ولكن طرأ على  
فكرنا أننا نشاهد معركة بحرية . ثم رأينا المدرعتين قد غيرتا ناحية مسيرهما  
وجعلتا تطاردان السفينة الصغيرة ولكن لم يطل الوقت حتى رأيناها راحعتين .  
عند ذلك اقتربت منا تلك السفينة الصغيرة فاعتراني خوف شديد ولكن لم يحدث  
ما يكدرنا بل تبادلت السفينتان بعض الإشارات ثم انصرفت وأخبرنا قبطان  
سفينتنا بعد ذلك أن المدرعتين اللتين رأيناها كانتا مدرعتين المائيتين تحاولان  
الفرار من الأسطول الأنكليزي بدخولهما الدردنيل

بعد ذلك بنحو ساعة التقيت اتفاقاً بونفهايم فأخبرته ما نقلته ابنتي فاهتم به  
اهتماماً شديداً . ولم تكد ننتهي من تناول طعام الغداء حتى قرع الباب وأتى  
الخادم يقول أن البارون فون ونفهايم والمركيز بالافيسيني يودان مقابلة  
مسزورثيم — ابنتي — فذهبت إليهما فطلبا إليها أن تعيد علي مسمعها خبر الحادثة



✽ بعض البحارة الالمان على دكة  
« الغوين » وقد ارتدوا الملابس البحرية التركية



التي شاهدتها في بحرايجه . وبعد ذلك احذا يسألانها بعض الاسئلة الدقيقة — من  
جلتها عدد الطلقات التي سمعتها والى ي ناحية توجهت المدرعتان الالمانيتان —  
وما علقه الركاب على تلك الحادثة من الحواشي

ولما انتهيا من ذلك شعرت ان عبثاً ثقيلاً قد ازيح عن ظهريهما لأن ابنتي  
كانت قد اخبرتهما كل ما يودان علمه عن المدرعتين غوبن وبرسلو وكيف سلما من  
الاسطول الانكليزي وكيف اتجهتا الى الدردنيل

في اليوم الثاني دعني اصحابي الرسمية المذهب الى السفارة الالمانية . ولكن  
ظهر لي اذ ذاك ان فكر ونفهايم كان قلقاً مضطرباً لا يكاد يجلس على كرسيه حتى  
ينهض ويمشي نحو النافذة وينظر الى البوسفور ثم يعود الى مكانه ثم ينهض ثانية  
ويتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً وهو مقطب الحاجبين

فنهضت من مكاني وقلت — انك قلق الافكار اليوم وسأعود اليك في فرصة  
اخرى ولكنه صرخ بأعلى صوته

— لا ! لا ! ابق مكانك . ان هذا اليوم سيكون يوماً عظيماً في تاريخ هذه  
الحرب — ابق اضع دقائق فتسبح اخباراً لها تأثير عظيم في علاقة تركيا بالحرب الحاضرة  
ثم ركض الى الخارج واتكأ على الدرابزون . واذا بمركب صغير قد خرج من  
ناحية المدرعة كوركوفادو الالمانية — فأسرع ونفهايم اليه واختطف منه غلافاً  
وفضة وقرأ ما فيه واذا به دخل صارخاً  
— سلماً ! سلماً ! فقلت انا مدهوشاً

— ماذا سلم ؟ من سلم ؟

— ان الغوبن والبرسلو قد دخلتا الدردنيل — ولكنه سكت فجأة

— واقترب مني وقال — لاشك انك عرفت ان الحكومة التركية قد  
ابتاعت تينك المدرعتين والاميرال سوشون سيدخل في خدمة جلالة السلطان  
كان فرح السفير ونفهايم بسلامة غوبن وبرسلو ودخولهما الدردنيل لا يوصف .  
لأنه علم ان نجاحه في عمله هذا كان اعظم انتصار سياسي له في الشرق لأنه كان قد  
ادار بنفسه حركات تينك المدرعتين وأدخلهما الدردنيل وباعهما ظاهراً للحكومة  
التركية وبذلك تكملت مساعيه في تركيا بالنجاح التام وبات ينتظر ذلك اليوم حينما  
يتقلد منصب مستشار الامبراطورية الالمانية

وانا اعتقد ان المدرعتين كان لهما اعظم تأثير في تاريخ وسيرها الحرب الكبرى وقليل من تمكن ان يقيس مبلغ تأثيرهما في سلوك تركيا ولكن ما عقب ذلك من الحوادث اظهر لنا جلياً اسباب فرح ونفهايم وتهله كانت غوبن طراداً قوياً حديث البناء سريع الحركة ومع ان الطراد برسلو لم يكن في درجتها من القوة والمناعة كان ذا سرعة فائقة وحركة خفيفة

قضت غوبن وبرسلو الا شهر السابقة لاعلان الحرب بالتجوال في بحر الروم وحينما حدث الانفجار وغاضت المانيا غمار الحرب كاتتاني مسيناً خذان خفا ومؤونة — وحتى الان لا ازال احسب وجودتينك المدرعتين الالمانيتين وكلاهما اسرع من اي بارجة في البحر للتوسط ان انكليزية او افرنسية وخصوصاً وجود غوبن التي زارت الاستانة مرتين وبات بجارتها يعرفون مداخل الدردنيل ومخارجه بكل دقة — من غرائب الصدف التي قلما تحدث في التاريخ !

ولكن من اين لهما ان تقاوما الاساطيل الانكليزية والفرنسية؟ انذرتها الحكومة الايطالية انه عند انقضاء ٢٤ ساعة يجب عليهما ان تتركاً مرفأ مسينا وفي الخارج كانت البوارج الانكليزية واقفة بالمرصاد . كانت بوارج انكتر اقد سدت عليهم كل منافذ الفرار لأن حصون جبل طارق ومدخل قنال السويس وغيرها من الجزر في وسط البحر كانت تحت سلطتها — فلم يبق لهما من منفذ خلاص الا مدخل الدردنيل وذلك حسب الانكليز مستحيلاً نظراً للمهود الدولية وقوانين الحياد المتفق عليها وتركيا كانت لاتزال محافظة على حيادها رغم أنها كان للامان من السلطة في ادارة شؤونها

في معاهدتي باريس ١٨٥٦ ولندن ١٨٧١ اتفق المتعاهدون ان لا يؤذن لبوارج حرية بالدخول الى الدردنيل الا باذن خاص من السلطان

بناء عليه سدت البوارج الانكليزية كل منافذ الخلاص الا منفذ الدردنيل لأنهم حسبوا انه عند وصول غوبن وبرسلو الى باب المضيق تقف المهود الدولية وقوانين الحياد سداً منيعاً في وجوههم فلا يتمكنون من الدخول

ولما انتهت المدة المعينة في مسينا وصل الى الاميرال سوشون رسالة لاسلكية مآلها — ان القيصر ينتظر منكم اختراق صفوف الاعداء . عند ذلك خرجت غوبن وفي اثرها برسلو وقد عات من ظهرهما اصوات التهليل والفرح واهازيح الحرب



والقتال وامرعتا متجهتين نحو الاسطول الانكليزي. فتبعتهما الكشافة الانكليزية غلوستر وكانت تنبئ اميرال الاسطول الانكليزي بكل حركاتهما وسكناتهما واذا بالاصوات قد خفتت والاهايح قد سكنت والدارعتان قد غيرتا ناحية مسيرهما ولم تعد تتمكن الكشافة الانكليزية ان ترسل شيئا مفهوما عن اعمالهما عند ذلك توجهت كلتا المدرعتين نحو الجنوب ثم حولت مقدمتيهما نحو الدردنيل فتبعتهما الكشافة الانكليزية وجرت مراراً ان تناجزهما معركة لعل الاسطول الانكليزي يتمكن من اللحاق بهما ولكن سرعتهما ساعدتهما على النجاة. في تلك الاثناء كان ونفهايم قد ارسل الى الاميرال سوشون رسالة برقية يأمره فيها ان يدخل مضيق الدردنيل وان يرفع العلم العثماني حال دخوله لكي لا تقف القوانين الدولية حاجزاً في سبيل ذلك وأخبره ان المدرعتين اصبحتا منذ تلك الدقيقة في خدمة السلطان وأصبح اسم غوبن « سلطان سليم » واسم برسلو « مدالي » — ذكرت فيما سبق ان تركيا كانت قد اوصت على مدرعتين من طرز الدردنوط في معامل انكلترا وأنها كانت قد جمعت ثمنهما بواسطة الاكتتاب العمومي فباعته النساء جواهرها وحليها ودفع الرجال قسماً من ايرادهم الشهري لذلك العمل الوطني ولما اعلنت الحرب كانت تركيا قد ارسلت بحارها الى انكلترا لكي يستلموا البارجتين حالما يتم بنائهما ولكن في تلك الدقيقة تداخلت الحكومة الانكليزية وضمت البارجتين الى اسطولها

فهاج الرأي العام في تركيا على عملها هذا ورأى ونفهايم ان فرصة قد سنحت فأخذ يظهر للاتراك بواسطة الرسائل العديدة التي كانت ترسل الى الصحف العديدة من سفارته ان انكلترا عدوة الاسلام وأنها تجرب في كل برهة ان تنزل بهم الى ادنى الدرجات وعرض على الوزارة ان يبيعهم غوبن وبرسلو — ولذا حينما دخلتا الدردنيل نشرت جريدة اقدام التركية بأحرف كبيرة

( اشتراء عظيم )

نجاح باهر للحكومة العلية

وشرحت بعد ذلك خبر تمنع انكلترا عن تسليم المدرعتين وكيف ان الحكومة الالمانية باعت غوبن وبرسلو للحكومة العثمانية

فتم لو نغنيهم بهذا العمل امران. اولاً ظهور المانيا بمظهر صديق صدوق لتركيا وثانياً ايجاد مرفأ أمين تبقى فيه غويز وبرسلو سالمين من هجوم الاعداء  
اما انا فلم اغتر بهذا المبيع لاني كنت عالماً ان حالة تركيا المالية لا تمكنها من دفع ثمن هاتين البارجتين. ومع ان الحكومة التركية وضعت حفنة من البحارة الاتراك بين بحارتهما الالمان وألبست البحارة الالمان والاميرال سوشون الطرايش التركية لم يكن ونغنيهم في حديثه. معي ليخفي ان المدرعتين كانتا لا تزالان قسماً تابعاً للأسطول الالمانى وكثيراً ما كان يشير اليهما (كسفنا) حتى ان طلعت نفسه اخبرني مرات عديدة ان البارجتين تخصان تركيا بالاسم فقط

ولما رفع السفير اليوناني في برلين اعتراضه على بيع تينك المدرعتين كان جواب الحكومة — انهما لا تزالان قسماً من اسطولنا

ولما اعترض سفراء الحلفاء على وجود مدرعتين المانيتين في الاستانة كان جواب الحكومة — انهما اصبحتا قسماً من الاسطول التركي !! فتأمل

ولو فرضنا ان الطرادات الانكليزية التي كانت لاحقة بغويز وبرسلو دخلتا المضيق غير مكترثة للقانون الدولي وتبعتهما الى بحر مرمره وأغرقتهما هنالك — فماذا تكون النتيجة ترى ؟

اني اعتقد انه لو حدث ذلك لامتنعت تركيا عن دخول ضمائر الحرب او على الاقل لامتنعت عن دخولها حايئة لالمانيا

فبوجود هاتين المدرعتين في مياه الاستانة زادت قوة الاسطول التركي على الاسطول الروسي وتأكدت تركيا ان روسيا لا تقدر ان تهاجها ببحراً

وزد على ذلك ففوة هاتين المدرعتين كانت كافية لارهاب سكان الاستانة وما فيها من الجنود العثمانية فتأكد ونغنيهم ان تركيا تساعد المانيا حينما تأزف الساعة وان أبت فبالقوة

وقد سمعت قصة قيل انها حدثت في احد اجتماعات الوزارة التركية لما كانوا يبحثون بشأن ابتياع غويز وبرسلو والعهد على الراوي :

كان الصدر الاعظم وجمال باشا معارضين لابتياعها ابتياعاً اسمياً فقط فنهض عند ذلك انور وقال — اني قد امضيت شروط الشراء — ثم مديده الى جيبه وأخرج مسدسه وألقاه على المائدة امامه واستأنف كلامه قائلاً

— ومن اراد ان يعارض فأنا مستعد لمقاومته  
وبعد ان مضى بضعة اسابيع على وجود غوبن وبرسلو في مياه البوسفور التقى  
جاويد بك ناظر المالية بأحد المحامين البلجيكيين المعروفين بالعاصمة قال جاويد  
ياصديقي — عندي اخبار تسوءك جداً . ان الالمان قد احتلوا بروكسل  
عند ذلك تقدم المحامي نحو جاويد ووضع يده على كتفه وقال بصوت رنان  
مشيراً الى غوبن وبرسلو  
ولكن اخباري تسوءك اكثر . ان الالمان احتلوا تركيا بأسرها

## الفصل السادس

### كيف ابتدأت الحرب

ذكرت فيما سبق ان القيصر دما ونغنهايم لاجتماع مهم عقده في بوتسدام في ٥  
يونيو (حزيران) ١٩١٤ . وانما دمي ونغنهايم لذلك الاجتماع ليبيدي رأيه في موقف  
تركيا تجاه حرب اوروبية لانهم كانوا يعتقدون ان موقفها في الحرب المقبلة يؤثر  
جداً في مجرى الحرب . ولما اخبرني ونغنهايم عن ذلك الاجتماع لم يذكر اسماء الذين  
حضروا بل قال

— رؤساء اركان البحرية والبحرية اي فون مولتكي وفون تربتز وحضر ايضاً  
في ذلك الاجتماع كل اصحاب المصارف الكبرى ومديرو شركات السكك الحديدية  
وزعماء الصناعة الالمانية لان الحكومة تكن لتستغني عنهم في الحرب المقبلة  
قال ونغنهايم

— عند ذلك سأل القيصر كلاً من هؤلاء بمفرده « هل انت مستعد للحرب ؟  
فأجاب الكل نعم الا اصحاب المصارف الذين طلبوا فرصة اسبوعين ليديروا موقعتهم  
المالي مع بقية المصارف الكبرى في العالم  
لم يكن احد يعتقد حتى ذلك الوقت ان حادثة سراييفو ومقتل الارشيدوق  
وزوجته ستؤدي الى حرب طاحنة . ولذلك حينما انقضى الاجتماع ذهب القيصر  
في يخته الى نروج والمستشار الامبراطوري فون بتمان هلفنغ ذهب في سياحته  
وونغنهايم رجع الى الاستانة كأن لم يكن اجتماع في بوتسدام لثلاث ثور عليهم

الظنون. وبذلك تمكنوا من ان يعطوا اصحاب المصارف فرصة كافية لتدبير مركزهم المالي والتجاري

ومن الواضح ان ما صرح به ونهنايم عن ذلك الاجتماع لم يكن الا دليلاً ناصعاً واعترافاً صريحاً ان المانيا ارادت وقوع الحرب فأشعلت نارها وأنا اعتقد ان العامل الذي دفع ونهنايم للتصريح بأعمال ذلك المجلس ان هو الا حامل الاقتضار بما اتته حكومته من بعد النظر ودقة التدبير وبالمركز الرفيع الذي حصله هو في عني الامبراطور

كثيرة هي الكتب الزرقاء والبيضاء والحمراء والصفراء التي ملأت اوربا بتفصيل وشرح العوامل التي دفعت الممالك العديدة لغرض غمار تلك الحرب الضروس . وعديدة هي المقالات الرسمية التي نشرتها الحكومة الالمانية لتظهر للعالم انها براء من تهمة الحرب. على ان تلك الكتب والمقالات لم تغير حكي من حيث اللقاء تبعة هذه الحرب على هذه المملكة او تلك

انا لم ابن حكي الشخصي على قرآن الاحوال لاني اعلم ان تلك المأساة المفجعة ولدت في دماغ القيصر وأبرزها رجاله الي حيز الوجود والبارون فون ونهنايم احد مولدي تلك الفكرة وأحد العاملين على تحقيقها اخبرني بكل ما حدث فأني تقع نجتنيه اذا بقينا نقباح وتجادل ونحن نعلم الحق اليقين ؟

كان موعد اجتماع ذلك المؤتمر كما ذكرنا في ٥ (يونيو) حزيران وأرسل البلاغ النهائي الي سربيا في ٢٢ حزيران اي انه مضى نحواً من اسبوعين بين هذا وذاك وهي المدة التي طلبها اصحاب المصارف في المانيا لتصفية حساباتهم وتدبير مركزهم المالي . واذا راجعنا تاريخ اسواق العالم المالية اثناء هذه المدة نلاحظ ان الاسعار في كل انحاء العالم هبطت هبوطاً عظيماً لان متمولي المانيا كانوا يبيعون كل ما لديهم من الاسهم في الشركات المختلفة والمصارف العديدة لكي يجمعوا مالاً — تقدماً — ليقوم بنفقاتهم في الحرب المقبلة

تعجب كل من له الملم بالشؤون المالية في ذلك الوقت من ذلك الهبوط السريع ولكن ما قاله ونهنايم يعلل كل شيء تعليلاً مقولاً اذ من اين لاصحاب المصارف الانكليزية والاميركية والافرنسية وغيرها ان تعلم ان مؤتمر بوتسدام كان السبب في كل ذلك

لم اكن انا الرجل الوحيد الذي علم تفاصيل ذلك من فون ونغنهايم بل المركز غاروني السفير الايطالي في الاستانة علم ذلك ايضاً لان ايطاليا كانت لا تزال حليفة المانيا. والسفير النمساوي المركز بالافيسيني صرح بأن الدول المركزية كانت تنتظر وقوع الحرب

وذلك انه في ١٨ اغسطس آب ذهبت الى السفارة النمساوية لاهنته بعيد ميلاد الامبراطور فرنسوا الرابع والثمانين . فأخذ السفير يخبرني اشياء كثيرة عن الامبراطور تدل على انه بالرغم من تقدمه في السن كان مطلعاً كل الاطلاع على الاحوال السياسية في العالم . ولكي يبرهن عبارته الاخيرة قال

ذهبت الى فينا السنة الماضية وحظيت بمقابلة الامبراطور ومن جملة ما قاله الامبراطور انه لا بد من حرب اوروبية لان الدول المركزية لا تريد ان تعترف بمعاهدة بخارست (١) التي تحسبها بقية الدول القول الفصل في سياسة البلقان وانه لا بد من وقوع الحرب الاوروبية لانها تلك المسألة السياسية الكبرى. وكثيرون من المؤرخين يعتقدون ان معاهدة بخارست كانت من العوامل الكبرى في وقوع هذه الحرب وها آراء الامبراطور فرنسوا جوزف تؤيد صحة ما يعتقدون

حدث هذا الاجتماع الذي صرح به الامبراطور في مايو ( ايار ) قبل مقتل الارشيدوق بنحو شهر كامل

فيتضح لنا اذاً ان الحرب الكبرى كانت واقعة لا محالة ولم تكن حادثة مراجينغو الا عود ثقاب اشعل نارها

وكثيراً ما كان ونغنهايم يحدثني مما تنوي صله المانيا حينما تدخل باريس وتمركز نصراً نهائياً تاماً على اعدائها

خرجت مرة للنزهة فالتقيت بونغنهايم فأخذ يخبرني عن اقتصارات المانيا الجديدة غربي نهر الرين مؤكداً لي ان نبوءته عن دخول الجيش الالماني لباريس ستتم بعد اسبوع . ثم قال

---

( ١ ) امضيت شروط هذه المعاهدة عند انتهاء الحرب البلقانية الثانية وفيها اقتسمت دول البلقان كل الاراضي العثمانية في اوربا الا الاستانة وما يجاورها ونالت كل من سوريا واليونان النصيب الاوفر فاوجست النمسا شراً من نجاح سوريا الحربي والاقتصادي كما ان مجرد وجود سوريا كسلطة متقلية قوية كان مما كسب لتحقيق حلم المانيا الكبرى وسداً منيعاً في سبيل نفوذها الكلي في الشرق

— واذكر الآن انه لا يوجد روسيا او انكلترا او النمسا لتسألنا ان نغزو  
عن باريس كما فعلوا سنة ١٨٧١ . فننقل من غروس الغرب كل ما نحتويه من  
الآثار الفنية الجميلة

ولكن جاءت معركة المارن وانكسرت الجيوش الالمانية شر كسرة نغابت  
ظنون ونفهايم ونجت باريس من اعدائها  
وكانت قد بلغت ثقة ونفهايم بالفوز مبلغاً عظيماً حتى انه بدأ يتكلم عن شروط  
الصلح — قال

— لا بد لفرنسا الآن من ان تدفع ٥٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال واذا اصررت على  
متابعة الحرب فسنضطرها ان تدفع اكثر من ذلك وسنحصل على مرافيء عديدة  
على كل الشواطىء فتكون كمحطات لاساطيلنا الحربية والتجارية وسنطلب  
ان يضم اليها كل الاراضي الذي تتكلم اكثرية سكانها اللغة الالمانية  
وفي حديث آخر قال —

— اذا جربت انكلترا ان تميمتنا جوعاً فلا هون علينا من ان نعيمت فرنسا جوعاً  
وذلك لانه مثل كل الماني كان يعتقد انه بعد مدة قصيرة سيكون الالمان الآمرين  
الناهين في عاصمة الفرنسيين  
وفي كل احاديثه مي كان ونفهايم يظهر بغضاً وحقداً شديدين نحو روسيا  
والشعب الروسي

وكان يفتخر دائماً بوجود ١٧٤ مدفعية في الدردنيل وأن الاميرال سوشون  
كان يعتقد بأن حصون الدردنيل لا تقهر وأنه يتمكن من اقبال الدردنيل بمدة  
ثلاثين دقيقة فقط «على اننا سوف لا نقفله الا اذا هاجمته الاساطيل الانكليزية» .  
في ذلك الوقت كانت انكلترا قد اعلنت الحرب ولكنها لم تكن قد دخلتها فعلياً  
لان جيشها كان صغيراً جداً بالنسبة الى جيوش بقية الدول ولم يكن ونفهايم او غيره  
من الالمان يحملون بانه سيتسنى لانكلترا ان تنشئ جيشاً كبيراً كالجيش  
الذي انشأته

وكان قواد الجيش الالماني ينوون ان يصوبوا مدافعهم من كاله الى الشواطىء  
الانكليزية ولم يكن يدور في خلدكم انه لن يتمكنوا من احتلال كاله لتحقيق  
حلمهم هذا





﴿ هنري مورغنتو ﴾  
سفير الولايات المتحدة في الاستانة  
١٩١٣ — ١٩١٦



## الفصل السابع

### نشر الدعوة الالمانية

لم تكن المانيا قد عازمت على ادخال تركيا وطيس الحرب في الشهور الاولى من احتدام نارها لانها كانت تعتقد انها ستتمكن من احراز نصر سريع دون مساعدتها اما انافسكت قد بدأت ان اهتم بمصير تركيا فأبرقت الى العاصمة وشنطون اسألهم اذا كان ثم من اعتراض على بذل ما لدي من النفوذ لابقاء تركيا على الحياد فجاءني الجواب ان افعل ذلك ولكن بصفة غير رسمية. علمت ان عملي ذاك يسر حكومي انكلترا وفرنسا لان سفيريهما كانا يبذلان وسمعها لابقاء تركيا على الحياد ولكنني ظننت ان عملي قد يفضب حكومة المانيا فقررت ان اسأل ونفهايم اذا كان له من اعتراض على عملي ذاك. وما كان اشد دهشتي حينما اجاب — ليس من اعتراض مطلقاً — ان المانيا تود بقاء تركيا على الحياد

لا شك ان سياسة تركيا في ذلك الوقت كانت مطابقة لما تقتضيه المصالح الالمانية وتقوذ ونفهايم في الوزارة التركية كان يزداد يومياً اما تردد تركيا فالتى الحلفاء في حيرة عظيمة فاضطرت انكلترا ان تبقي اسطولاً ضخماً عند مدخل الدردنيل حتى يكون جاهزاً اذا رجحت كفة الميزان مع المانيا وزادت حيش الاحتلال في الهند واضطرت روسيا ايضاً ان تبقي حيشاً في القوقاس وذلك تمام كانت ماتتطلبه السياسة الالمانية لان وطأة اعدائها خفت في باقي الساحات الحربية حدث كل ذلك قبل معركة المارن الاولى حينما كانت المانيا تؤمل ان تسير الى نصر اكيد بدون مساعدة تركيا. لان القيصر رأى انه اذا دخلت تركيا وتمكنت حيوشه من قهر اعدائها في شمالي ، وسيا وغربها لقامت تركيا تطالبه بجزء من الارباح الطائلة التي كان يؤمل ان يحصل عليها . ولذلك لم ير ان دخول تركيا لا يكون موافق الا حينما تعجز جيوشه الحاررة عن قهر الاعداء قهراً تاماً

كان ونفهايم اثناء هذه المدة يعد تركيا لمساعدة المانيا عند الحاجة اليها فعين الضباط العديدين لتدريب الجيش التركي — وتمكن من ادخال غوبن وبرسلو الى مياه الدردنيل وباعها ظاهراً للحكومة التركية فقوي بهما اسطول تركيا في البحر الاسود

عرف سفراء دول الاتفاق انهم لا يتمكنون من ان يقنعوا تركيا بخوض غمار الحرب حليفة لهم ولذلك بذلوا جهدهم لابقائها على الحياد . جربوا ان يقنعوا انور وطلعت وباقي زعماء الحكومة بقولهم كفاكم من الحرب ما يضعف البلاد وينهك قوى العباد . ها قد حاربتم حربين كبيرين في مدة اربع سنوات واذا دخلتم هذه الحرب الثالثة فلا شك انكم تسيرون بالملكة الى — الخراب والدمار

لم يكن لدى سفراء دول الاتفاق ما يقدرّون ان يفروا تركيا به لتحافظ على حيادها سوى وعدم اياها بالمحافظة على وحدتها السياسية . ولذلك لما عرضت مسألة بيع غوين وبرسلو لم يشددوا النكير على الحكومة مع انهم رفعوا الاحتجاجات الرسمية الى ذوي السلطة

فكان الاتراك يجيبون ان المدرعتين اصبحتا تخصان الاسطول التركي فيجيبهم السرلويس مالت — السفير الانكليزي اذا كان ذلك صحيحاً فلماذا لا تبدلون البحارة الالمان ببخارة اترك

فيجيبه الصدر الاعظم

— ذلك ما عقدنا النية عليه ولكن ارسلنا ما عندنا من البحارة المدربين الى انكلترا وعند رجوعهم فبدل البحارة الالمان بهم

ولكن مضى الشهر تلو الآخر ورجع البحارة الاتراك من انكلترا وبقي الاميرال سوشون حاكم البارجتين المطلق

حدث كل ذلك ولكن سفراء الحلفاء لم يطلبوا جوازات السفر لانهم علموا انهم بفعلهم هذا يكونون قد احدثوا ما يريدون تجنبه وهو دخول تركيا في الحرب حليفة لالمانيا

على ان وعود دول الاتفاق لم تجد تقعاً واتفق ان اجتمعت بطلعت آتخذ فتباحثنا ملياً فقال

الم يعدونا في حرب البلقان انهم لا يسمحون بتقسيم تركيا في اوروبا وهاتناج وعودهم ظاهرة للعيان

اما ونقضيهم فلم يكن يضرب على غير هذا الوتر قائل لاولي النفوذ والسلطة — لا يمكنكم ان تركزوا الى كل ما يقولونه . الم يحنثوا بعودهم في حرب البلقان؟ الا تملون لماذا يريدون ابقاءكم على الحياد؟ ذلك لانهم يرهبون صولتكم ! الا

تشعرون انه بمساعدة المانيا اصبحت قوة يحاذر بطشها فلا عجب اذا ارادت انكثرا ان لا تحاربكم

درس ونفهايم فلسفة اخلاق الاتراك فلم تماماً ان اقوى عواطفهم هي طائفة الخوف فهم لا يحبون ولا يبغضون بل يخافون ويريدون غيرهم ان يخافهم وانا اعتقد بعد ان لاحظت مسير الامور في العاصمة انه رغم ان ميل طلعت وانور لالمانيا كان السواد الاعظم من الشعب يميل الى دول الاتفاق رأى السلطان مضار الحرب فكان مقاوماً للذين يريدون اصلاء نارها وولي العهد يوسف عز الدين كان يميل الى دول الاتفاق ، والصدر الاعظم كان يميل الى انكثرا اكثر من ميله الى المانيا ، وجمال باشا احد اركان الاتحاديين الاقوياء كان قد وصل حديثاً من فرنسا حيث لقي احتفاء عظيماً وكان ميله افرنسياً وعلى هذا النمط نجد ان اكثر اعضاء الوزارة لم يستميلوا المانيا . والرأي العام لا شك كان يعتقد ان انكثرا لا المانيا صديقة تركيا القديمة

كذلك رأى ونفهايم امامه قوة عظيمة ولكنه قاومها غير هيباب ذكرت شيئاً من قبل عما شعر به الاتراك حينما تداخلت الحكومة الانكليزية ومنعت ارسال المدرعة التركية التي كانت تبني في 'انكثرا' رأى ونفهايم في هذه الحادثة فرصة سانحة للعمل فاستأجر كتاباً ، يملأون الاعمدة الطويلة ويحبرون المقالات الضافية عن هذا الموضوع مقبحين عمل انكثرا ومننديين بسوء نيتها

وهكذا اصبحت اكثر جرائد العاصمة رويداً رويداً تنفي بمديح المانيا وحلفائها بعد ان امدهم غليوم بالمال اجرةً لذلك العمل . اما الجرائد التي كانت ترفض الرشوة فكانت تصدر الاوامر السنية باقفالها رغم انهم ينص عليه الدستور العثماني من اطلاق حرية الصحافة

فأخذت تلك الصحف تصور انكثرا بصور العداء وتظهر روسيا بمظالم الحقد ، واصبحت تنادي بغليوم رجلاً يدافع عن الاسلام ويحمي حقيقته وانور بطلاً اعاد الى تركيا مجدها الغابر وعزها البائد

وفضلاً عن ذلك كان ونفهايم يبذل وسعه للاستيلاء على مراكز القوة والسطة في الحكومة فكان كل يوم يأتي بذخائر ومثون جديدة من المانيا وضباط ومهندسين

اخصائيين في فنون الحرب الحديثة وكثيراً ما كان يقول لانور وطلعت وجمال ، ان البعثة الانكليزية البحرية برئاسة الاميرال لمبس قد خربت اسطولكم بدلامن ان تعلمه ولكن انظروا كيف اصلحنا حالة جيشكم فصار يحاذره العدو والصديق في تلك الاثناء كان الضباط الالمان يعملون على تحصين معقل الدردنيل لئلا يفاجئهم الانكليز بهجوم بحري قوي فلا يقوون على الدفاع

وكان في مياه الاستانة سفينة المانية تدعى «الجنرال» وكان لي صديق امريكي الجنسية يتردد كثيراً الى هذه السفينة حيث كان ضباط المدرعتين الالمانيتين يجتمعون لقتل الوقت بمعاقرة بذت الحان والتحدث بأخبار الحرب وكثيراً ما كان يأتي اليّ ذلك الصديق ويخبرني عما يحدث بين اولئك الضباط وفي أواخر اكتوبر اتاني قائلاً —

— لا بد من دخول تركيا في الحرب — لان الاسطول التركي اصبح متأهباً والضباط الالمان اصبحوا لاطاقة لهم على الصبر دون قتال وسفك دماء

## الفصل الثامن

« اقبال الدردنيل »

في السابع والعشرين من ايلول اتاني السر لويس ملت السفير الانكليزي وعلى وجهه امائر القلق والاضطراب والتهيج وقبل وصوله بقليل كان خديوي مصر عباس الثاني في مكنتي لبعض اشغال رسمية ولذلك حينما دخل السفير الانكليزي بدأت اباحته في الشؤون المصرية ولكنه قال

— دعنا والشؤون المصرية الآن اذ يوجد اهم من ذلك — ألم تعلم انهم اقفلوا الدردنيل ؟

ان الضمير في فعل « اقفلوا » لم يرجع الى الحكومة التركية التي لها وحدها حق اقفاله بل كان حائداً الى الالمان اصحاب السلطة الفعلية في الاستانة ذلك كان عملاً منافياً لحقوق الحياة ولذلك جاءني السر لويس يسألني ان ارفع اعتراضاً على ذلك العمل فقلت له

ليرفع كل منا اعتراضه لنفسه ونهضت للحال وذهبت الى بيت الصدر الاعظم وصلت فوجدت اعضاء الوزارة في اجتماع خاص جلست في غرفة الانتظار وكنت اسمع لقط اعضاء الوزارة وهم يتناقشون ويتشاحنون فيزت منهم صوت انور وطلعت وجاويد

ولم يعم ان خرج الصدر الاعظم لمقابلتي وما كان اشد تعجبي عند ما رأيت علامات القلق والتهيج بادية في كل حركاته وسكناته فبادرته بالسؤال عما اذا كان خبر اقبال الدردنيل صحيحا فوقف حائرا ثم تمم قائلا — نعم —

فقلت ان ذلك يؤدي الى اعلان الحرب — واعتضت رسميا بلهجة شديدة باسم الولايات المتحدة عند ذلك استأذن الصدر الاعظم ودخل الى غرفة الاجتماع وارسل جاويد ليباحثني في هذه المسألة

لم يكذ جاويد يدخل الغرفة حتى صباح قائلًا — ان ذلك قد حدث على غير علم منا مما يدل على ان السلطة الفعلية في ادارة شؤون المملكة لم تكن حاملة به

فقلت له ان حكومة الولايات المتحدة لا تسلم مطلقا باقبال الدردنيل. فتركيا لم تزل في حالة السلم ولا حق للسلطان ان يمنع دخول المراكب التجارية اليه الا في حالة الحرب والا ان يوجد باخرة امريكية خارج المضيق تحمل حاجات ضرورية للسفارة الامريكية

فاقترح جاويد ان تفرغ تلك الباخرة شحنها في ازمير ثم تنقل الحكومة التركية تلك البضائع من ازمير الى الاستانة على نفقتها، فرفضت ذلك اذا علمت انه يحاول تخفيف لهجة اعتراضه

فقال جاويد ان الوزارة ستفحص عن المسألة ثم اخذ يسرد كيفية صدور الاوامر باقبال الدردنيل

وذلك انه في احد الايام خرج — مركب طور بيد عماني الى بحر ايجه فأوقفت السفن الحربية الانكليزية وفشتت فوجدت فيه بحارة الماني، فأمرته بالرجوع. عند ذلك أصدر الجنرال فيبر باشا المتولي القيادة في معاقل الدردنيل باقباله دون ان يعلم الوزارة

ذكرت قبلاً ان ونغنهايم كان يفتخر انه في امكانهم ان يلقوا الدردنيل في  
مدة نصف ساعة وها قد تم ما قاله حرفياً  
ولم يكذب صدر ذلك الامر حتى اطفئت المنائر وانزلت الأعلام والشباك الى  
البحر واصبح الدردنيل في حالة حرب  
حدث كل ذلك والرجال الذين لهم حق السلطة في الدردنيل يرتجفون لعمل  
الامان حائرون فيما يجب ان يفعلوا والسلطان الذي لا يتخذ امر ما الا بعد مصادقته  
عليه كان في بيته لا يعلم شيئاً عما يجري في مملكته  
في سبتمبر (ايلول) تمكن الافرنسيون من قهر اعدائهم في معركة المارن الاولى  
ولم يدخل الالمان باريس في مدة قصيرة كما كانوا ينوون  
كانت الجيوش الروسية قد احتلت لمبرغ ووصلت الى جبال الكربات ومنها  
كانت تنوي الهبوط الى سهول المجر  
فصدر اذ ذاك امر الى ونغنهايم من مركز القيادة العامة في برلين لكي يبدأ  
باستعمال قوة تركيا في سبيل المانيا لان الوقت قد آن واصبحت المانيا في حاجة اليها  
بعد ما فشلت في السير الى انتصار سريع بدون مساعدتها  
جاء الوقت عند ما اضطرت المانيا لطلب مساعدة الجيش التركي الذي نظمه  
الضباط الالمان ولم يكن اقبال الدردنيل الا علامة واضحة ان تركيا دخلت الحرب  
في جانب المانيا  
قم بذلك ما اراده ونغنهايم  
والآن ليفهم العالم ان طول مدة الحرب ناتجة عن دخول تركيا في الحرب  
مع المانيا واقبال الدردنيل  
اذ بذلك انفصلت روسيا عن حلفائها انفصالاً ادى الى تهجيرها وانكسارها  
في السنة الثانية من الحرب لأننا اذا درسنا الخريطة نجد ان لروسيا اربعة منافذ  
الى البحر  
الاول بواسطة بحر البلطيق حيث وقف الاسطول الالماني سداً منيعاً في سبيل  
المواصلات  
والثانية هو ميناء اركنجل في المتجمد الشمالي واستماله صعب لان الجليد  
يبقى هناك ماينيف على سبعة اشهر

والثالثة بواسطة فلاديفستوك على الاوقيانوس الباسيفيكي وهذا كان متعذراً  
لبعد الشقة

والرابع هو منفذ الدردنيل  
بواسطة هذا المنفذ كان يمر القسم الاكبر من صادرات روسيا ووارداتها  
والآن اقفلت المانيا ذلك المضيق فوقفت تجارة روسيا وفصلت بينهما وبين  
حلفائها فلم تتمكن من امدادها بالذخائر الحربية التي كانت ضرورية لعسكرها العرمرم  
الذي اصبح في السنة التالية من الحرب يحارب الالمان عرباناً وبلا مدافع او بنادق  
ان اقفال الدردنيل لمن اعظم انتصارات المانيا الحربية والسياسية في هذه  
الحرب الكبرى

## الفصل التاسع

### الغاء الامتيازات

ان الامتيازات الاجنبية هي ما منحتة الحكومة التركية لساير الدول الاوربية  
منها على الاخص بواسطة معاهدات قديمة . وعلى هذه الامتيازات كان يتوقف  
معاملة الرعايا الاجانب المقيمين في تركيا

اما تركيا فنذ نشأة قانون الدول لم تمنح المساواة التامة مع بقية الامم فتركها  
ذلك التقيد بتلك المعاهدات بدون سلطة مطلقة ضمن حدودها . وذلك لان شرائع  
وقوانين الحكومة التركية كانت تختلف تمام الاختلاف عن شرائع وقوانين الدول  
الاوربية فلم تؤمن الحكومات الاوربية للحكومة العثمانية ان يكون لها حق السلطة  
على الاجانب المقيمين فيها فأسسوا لذلك المحاكم القنصلية واصبح كل أوروبي او  
اميركي يحاكم امام قنصله ويسجن في سجن القنصلية اذا استحق ذلك العقاب

وفضلاً عن هذه القيود القضائية السياسية كانت تركيا مقيدة بقيود اقتصادية  
تجارية . ولم يكن لمديري شأنها ان يرفعوا الضرائب الجمركية اذا شعروا بضرورة  
رفعها . فنتج عنها وجود هذه القيود الاقتصادية (١) ان الصنائع الوطنية اخذت  
تضعف رويداً رويداً حتى قاربت ان تتلاشى وعرف ساسة الاتراك حالة البلاد الحرجة  
فرفعوا اعتراضاً قوي اللهجة على وجود هذه القيود التي تمنع سيرهم كأمة حية  
ولكن ذلك الاعتراض لم يجد تفعلاً

(١) كانت الضرائب ١١ في المائة سنة ١٩١٤ وكانوا يحاولون زيادتها الى ١٤ في المائة

لذلك حينما ابتدأت الحرب كثرت الاشاعات على ان الحكومة التركية ستلغي الامتيازات الاجنبية لان المانيا كانت قد سلمت بذلك لكي تستميل تركيا . وانكثرت اقبلت به لتغتر تركيا بالبقاء على الحياد . على انه لم يكن لهذه الاشاعات من اصل ثابت مطلقاً انما من اطرف مالا حظته عند شيوع هذا الخبر ما طرأ على الرعايا الاجانب من الخوف والقلق لما ظنوا انهم اصبحوا تحت سلطة محاكم الاتراك ذهبت في احد الايام لازور انور باشا في قصره بعد دعوة خصوصية منه وكان اذ ذاك يشعر بألم في رجله اثر عملية جراحية وكان يئته في حي من اجل احياء المدينة حيث يقل الازدحام وتكثر السكينة والهدوء

قرعت الباب ففتحه الحارس وسلمني الى حاجب اخر فاخذني هذا من غرفة الى اخرى حتى وصلت الى غرفة انور الخاصة . كل ما رأيته في داخل البيت يدل على ثروة عظيمة وجاء واسع . فالقصر مفروش بالطنافس الثمينة والرياش النفيسة . والاولاني الغالية الاثمان منها كرسي مذهب وورثته زوجته عن والديها لانها كانت من العائلة المالكة

لم اقدر ان املك افكاري حينما رأيت مظاهر الثروة والجاء في بيت انور ولم اتمالك عن التساؤل عن مصدر تلك الثروة الكبيرة  
لم يكن انور الا رجلاً ثورياً من اصل وضيع وراتبه كناظر الحرية لم يزد على ٨٠٠٠ ريال ، وزوجته لم تكن ذات بائنة عظيمة فما هو مصدر ذلك الغنى الطائل ؟ كان قصد انور من تلك الدعوة البحث في مسألة الامتيازات الاجنبية فقال - ان الوزارة قد قررت ان تلغي الامتيازات الاجنبية ولسكنها تود ان تعلم ما هو الموقف الذي تتخذه الولايات المتحدة ازاء ذلك العمل

ان الولايات المتحدة ساعدت اليابان على تحرير نفسها من ربة الذل والاستعباد فلم لا تساعدنا على ذلك وكلانا في درجة واحدة من التمدن والرقى ؟  
فأجبت -

ان حكومة الولايات المتحدة قد تسلم بالغاء القيود الاقتصادية - لأن ذلك كان اعتقادي الشخصي - ولكن طالما محاكمكم لاتزال في حالة سيئة فالولايات المتحدة لا تسلم مطلقاً بذلك . فالواجب يقضي على الاتراك اذا ان يبدأوا بحركة



اصلاحية في محاكمهم القضائية وسجونهم قبل ان ينتظروا من حكومة الولايات المتحدة اقل مساعدة

فاقترح انور عندئذ ان تؤلف محاكم مختلطة فيحق للولايات المتحدة عند ذلك ان تعين احد القضاة

فرفضت ذلك لان قضاة الولايات المتحدة لا يعرفون اللغة التركية ولا القوانين والشرائع التركية وذلك يودي الى صعوبات فنية جمة

بعد ذلك بمدة انتشر خبر الغاء الامتيازات . فرفع السفراء الاعتراضات المديدة ولكن رغمًا عن ذلك صدر امر الحكومة بالغائها من اول اكتوبر ١٩١٤ . وذلك تمام ما كانت ترمي اليه حركة جمعية الانحاد والترقي — من ابقاء تركيا للاتراك اما موقف انكلترا فقد كان موافقاً لموقف الولايات المتحدة ونظارة الخارجية في برلين عنفت سفيرها في الاستانة لتسليمه بذلك الالغاء

وما كان اشد قلق واضطراب الرأيا الاجانب عند صدور ذلك الامر . لان مضايق الدردنيل كانت قد اقلقت وأصبحوا تحت رحمة قضاة الاتراك وسجونهم مع ما عرف عنها من سوء التنظيم وخلل الادارة

ذهبت عند ذلك الى مكتب انور وسألته عن موقف الحكومة التركية نحو المعاهد الاميركية فأكد لي ان الحكومة التركية لا تنظر الى الاميركيين كأعداء . فقلت له انه يحسن به والحالة هذه ان يظهر علنياً ان الاميركيين لن ينالوا بسوء فقال ما هي الطريقة الى ذلك ؟

فاقترحت عليه ان يزور كلية روبرت الواقعة على ضفاف البوسفور في اول اكتوبر — اليوم المعين لالغاء الامتيازات —

كان ذلك الاقتراح وحيداً في بابه لانه منذ تأسيس تلك الكلية على ضفاف البوسفور لم يزرها احد من الحكومة التركية زيارة رسمية ولكن علمت ان البلاد ستتناقل خبر زيارة انور لكلية روبرت فيشعر الجميع ان جميع المعاهد الاميركية في تركيا قد اصبحت في حمايته ويكون لهذه الاخبار تأثير عظيم في سبيل المحافظة على مصالح الاميركيين في كل انحاء المملكة

فصادف هذا الاقتراح قبولاً حسناً وللحال حمل به . وفي اليوم المعين اتى

انور الى السفارة الاميركية وبصحبه سيارتان فرسيت واياه في احدهما وفي  
الآخرى بعض اعوانه

اخذت احده في الطريق عن غاية المعاهد الاميركية وعما لها في تركيا لانه  
لم يكن يعلم شيئاً عن حقيقة ذلك وكان يعتقد انها هناك لاسباب سياسية محضة  
ثم قلت

— نحن الاميركيين لا نبحث عن ربح مادي في تركيا ولكن جل ما نطلبه هو  
ان تعاملوا اولادنا — هذه المعاهد — بالرفق

ثم اخذت اخبره عما ينفقه الاميركيون سنوياً من الاموال الطائلة لتأسيس  
مدارس كهذه في كل مكان . فسانني قائلاً

ولكن من اين لهم هذه المبالغ الباهظة التي ينفقونها في سبيل العلم والتهديب  
فسردت له عندئذ تاريخ فندر بلت وروكفلر ، ودودج وسايج وغيرهم وكيف  
جمعوا تلك الثروات الطائلة بعد ان كانوا في بدء حياتهم لا يملكون شروى تقير  
فسر انور بتلك القصص وحسبها اعجب من حكايات الف ليلة وليلة وعلمت بعدئذ انه  
سردها لكل ذوي المقامات السامية في الاستانة

اعجب انور كثيراً بكلية روبرت حتى انه تفقد بشخصه كل البنائيات وكان  
يظهر ارتياحه لكل ما يراه فيها . تناول الشاي مع رئيس المدرسة الدكتور غايتس  
وزوجته — ولقيف من الاساتذة وشرع يباحثهم عن لائحة دروس المدرسة وهل  
كانوا ينوون ادخال فن الزراعة في برنامج الدروس وقال لي بعدئذ

— كنت انتظر ان اجد هؤلاء المرسلين كما كانت تصورهم لنا الجرائد والصحف  
الالمانية — رجالاً ذوي لحى طويلة لا عمل لهم غير التضرع والصلاة — ولكن  
ها الدكتور كايتس وبعض الاساتذة يتكلمون التركية كأربابها . اني اشكر لك جداً  
اهتمامك بالاتيان لي الى هنا

حتى الآن كنت اسمي لابقاء تركيا على الحياد وكان ونفهايم مرتاحاً الى عملي  
هذا . ولكن لم تطل المدة حتى شعرت المانيا بشدة احتياجها لمساعدة تركيا بعد  
انكسار جيوشها في معركة المارن الاولى فأخذ ونفهايم اذ ذاك ينظر الى عملي بعين  
الغضب وبذل كل جهده لكي يقنعني بالتوقف عن حض انور وطاعت على البقاء  
على الحياد

اجتمعت به يوماً فقال

— كنت احسب انك تمثل دولة لا تزال على الحياد . فأجبت — كنت اظنك في تركيا حيث حقوقك وحقوق غيرك سيان ولكن ونفهايم كان قد شعر باضطرار المانيا لمساعدة تركيا فأخذ ينتظر فرصة سانحة لكي يزج تركيا في حامي وطيس الحرب الكبرى ولكن كما بينت قبلاً كان لا يزال في تركيا قسم كبير غير ميال لموالاة المانيا. منهم عدد كبير كان بين اعضاء الوزارة كسعيد حليم باشا الصدر الاعظم ، وناظر المالية جاويد بك ، وناظر النافعة محمود باشا ، وناظر الزراعة والتجارة سليمان افندي البستاني . وناظر البوستة اسخان افندي . كل هؤلاء كانوا مقاومين للحرب واندروا طلعت وأنور بانهم يستقبلون اذا خاضت تركيا غمارها كانت الحالة حرجة جداً في ذلك الوقت في الاستانة واثباتاً لذلك اروي الحادثة التالية

كنت قد دعوت السفير الانكليزي لمناولة طعام الغداء في السفارة الاميركية في العشرين من شهر اكتوبر ، ولكن قبل الموعد ببضع دقائق ارسل معتذراً عن عدم تمكنه من الحضور لانحراف في صحته وما كان اشد تعجبي حينما ذهبت لقيادة السفير بعد الظهر فوجدته في الحديقة وليس عليه دلائل ألم او مرض ، فسألته عن سبب تخلفه عن المجيء فقال — —وصلني رسالة سرية كلها وعيد وتهديد — وفيها يقولون انهم ينزرون اغتيالاً في محل مخصص — فرأيت من الحزم ان ابقي في بيتي لئلا يكون فعرضت عليه حينئذ حماية سفارتي وأعطيته مفتاح حديقة السفارة الاميركية الخلفي — لانه كان يتمكن من الذهاب من حديقته الى حديقتي دون ان يمر في الطريق العمومي . عند ذلك نظر الي وقال يظهر لي ان هؤلاء قد طادوا الى عاداتهم في القرون المتوحشة وحينما كانوا يزجون السفراء والمندوبين في سجون مظلمة رطبة فاسدة الهواء فتركته اذ ذاك وذهبت تواراً الى الصدر الاعظم وأطلعته على الحادثة واقترحت عليه ان يذهب بنفسه او يرسل طلعت ناظر الداخلية ليؤكد للسفير البريطاني انه لا يزال في امان — وقد ذهب طلعت الى السفارة الانكليزية معتذراً

## الفصل العاشر

### دخول تركيا في الحرب

في تلك الاثناء كان ممثلو المانيا في تركيا يبذلون جهدهم ليأتوا بعمل ما تكون نتيجته سبباً ظاهراً يدفع تركيا لاعلان الحرب

كان الاميرال سوشوف يرسل غوين وبرسلو الى البحر الاسود للمناورات البحرية لعله بذلك يدفع البوارج الروسية للهجوم عليها فيتخذ السفير الالماني ذلك العمل العدائي سبباً لادخال تركيا في الحرب ضد روسيا

وفي التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول (نوفمبر) دخل بعض عرب البادية حدود مصر فردتهم العساكر الانكليزية على اعقابهم

فذهبت اذ ذاك الى طلعت وتباحثنا ملياً في ذلك الموضوع لاني كنت الرجل المسؤول عن المصالح البريطانية وكان السر لويس ملت قد كتب الي ما يأتي —

ان ذلك يؤدي لاشهار الحرب — ارجو ان تذكر ذلك امام طلعت وتفهمه نتائج ذلك العمل

فقال طلعت حينما اخبرته بذلك ان العرب كانوا يحفرون آبار ماء لكي يستعملوها اذا وقعت الحرب بين انكلترا وتركيا فهاجتهم الجنود الانكليزية وخربت تلك الآبار فرد العربان الهجوم لينموا تعدي الانكليز . وكان قد قال قبلاً للسر لويس ملت ان الحكومة التركية لا تعترف بوجود حدود مصرية لانهم يحسبون مصر جزءاً من تركيا

في نفس هذا الاجتماع اخبرني طلعت ان الحكومة التركية كانت قد قررت نهائياً ان تدخل الحرب حليفة لالمانيا وأخذ يحلل البراهين التي تدفعهم الى ذلك العمل الى ان قال

لا بد لالمانيا من الانتصار . وعندئذ ينتقم الامبراطور لنفسه من تركيا اذا لم تمد له يد المساعدة . ان سياسة الدول والممالك يجب ان تتمشى في سيرها على طريق المصلحة المجردة ومصالحتنا تقضي ان نساعد المانيا واذا قضت مصالحنا بعد شهر واحد ان نقسم عرى الاتفاق مع المانيا ونخطب ود انكلترا وفرنسا فسنفعل

ذلك . ان روسيا عدونا الدود فاذا ساعدنا المانيا الآن على كسر شوكتها نخلص من خطر عظيم هدد كياتنا قروناً طويلة

في مساء ذلك النهار وردت الانباء ان قاربي طوربيد من الاسطول التركي هجما على مدينة اودسا الروسية وأغرقا الغمبوط ودترو وعطلا دارعتين ثم صوبا مدافعها نحو المدينة فهدمت القنابل معمل سكر فيها وأن البحارة في ذينك القارين كانوا الماناً لان البحارة الاتراك في ذلك النهار كانوا قد نالوا فرصة بمناسبة عيد — يرام — ذكرت قبلأ انه كان لي صديق يتردد على السفينة الالمانية حيث كان يجتمع فيها الضباط الالمان وكان يأتي الي ويخبرني ماذا كانوا ينوون ان يفعلوا . وقد قال لي مرات عديدة ان الضباط الالمان قد سئموا تلك الحالة ولا بد لهم من القيام بعمل عدائي مهما كان ليجبروا تركيا على دخول الحرب والآن تفذ ما كانوا يضررون حينما وصلت الاخبار الى العاصمة كان جمال باشا ناظر البحرية، يقاصر في «سرك الشرق» وما كان اشد تعجبه لما سمع تلك الاخبار وما لبث ان صاح : — لا اعلم عنها شيئاً — لم يحدث ذلك بأمر مني

في مساء ذلك اليوم اجتمعت بطلعت فأخبرني ان الاميرال سوشون كان قد اصدر تلك الاوامر ولا شك عندي ان طلعت وجمال كانا ينتظران وقوع هذا الحادث . وبلغ التأثير من سعيد حليم باشا الصدر الاعظم لتلك الحادث حتى ان عينيه اغرورقتا بالدموع حينما اتاه السر لويس ملت السفير الانكليزي والمسير بومبار السفير الافرنسي طالبين جوازات السفر فسألها ان يصبرا قليلاً لانه كان يعمل على حل المسألة حلاً مرضياً للفرقيين

اما طلعت وأنور فكانا يودان من صميم قوادها ان يبقيا سعيد حليم باشا في منصب العدارة لكي يساعدهما باسمه الشريف وماله الكثير ولذلك كثيراً ما كان طلعت يأتي اعمالاً لا تنطبق على خطته ليتظاهرا انه يفعل حسب ارادة الصدر الاعظم ليغره بالبقاء في ذلك المنصب

ولذلك اتاني طلعت وطلب مني باسم الصدر الاعظم ان اتدخل مع السفير الروسي وأسأله عن التعويضات التي تطلبها روسيا لقاء اعتداء تركيا عليها . علمت العوامل التي تدفعه الى ذلك فقلت له

— لماذا تتظاهر انك رسول الصدر الاعظم — الا اخلع عنك ذلك وكلمني  
كطلعت فاظر الداخلية

فضحك طلعت وقال —

— لاني « ونفهايم وأنور وخوض غمار الحرب الآن — وما كادت  
تعلن الحرب حتى نفذ بستاني وأسخان ومحمود وجاويد تهديداتهم وقدموا  
استغفائهم تاركين الحكومة في ايدي الاتراك

اما سعيد حليم باشا الذي كان قد عزم ان يستقيل فدفعه حبه للفخر والابهة  
والعظمة ان يبتى مستلماً زمام اعظم منصب في الحكومة التركية . فاذاً والحالة هذه  
لم تكن نتيجة دخول تركيا في الحرب الا توحيد السلطة في المملكة العثمانية في  
ايدي رجال الاتحاد والترقي — والثورة التي كانت ترمي الى جعل تركيا دولة  
دستورية انتهت الآن بجعل حكومة تركيا حكومة مطلقة — رائدها الظلم  
والاستبداد وغاية افرادها الاولى النفوذ والسلطة والكسب

\*\*\*

في مساء الثلاثين من شهر تشرين الاول ذهبت الى السفارة الانكليزية لاهتم  
بامر الرايا الانكليز الذين كانوا قد ملاؤوها بخوفهم ورعبهم من سوء المعاملة  
دخلت الى مكتب السفير فوجدته جالساً بكل هدوء وسكينة امام الموقد وامامه  
كومة من الاوراق ضمنها خلاصة اعمال انكلترا السياسية في تركيا منذ حرب  
القريم رأيته يأخذ الورقة تلو الاخرى ويقرأها ثم يرمي بها الى النار المشبوبة  
فتلهمها .

هنالك اعطاني قائمة اسماء الرايا البريطانيين المسافرين والباقيين واتفقنا نهائياً  
على استلام ادارة الشؤون الانكليزية في الاستانة

نعم تموز بريطانيا في تركيا كان قد سقط بعد ان تغلب عليه النفوذ الالماني  
ولكن ذكر السفير البريطاني لم يزل عاطراً كالمسك لانه لم يكن قد رشا مأموري  
الاتراك بالنفوذ ولا تسلط على الصحافة التركية بالاصفر الرنان ولا داس القوانين  
الدولية واستحسن كل واسطة توصلاً الى غاية كما فعل السفير الالماني الذي اتبع  
قول بسمارك الالماني الحقيقي بحب ان لا يرضن بحياته وشرفه في سبيل الوطن

## الفصل الحادى عشر

### الاجانب في تركيا

بعد الهجوم على مرفأ اودسا اجتمعت بانور واخذنا نبحث في مسألة معاملة  
الرايا الاجانب المقيمين في تركيا

هل كانت الحكومة التركية عازمة ان تنفيهم الى داخلية اسيا الصغرى ام كانت  
لتركهم في محال اقامتهم وتعاملهم بالرفق ام كانت تريدان تعود الى العادات القديمة  
فتسومهم شر العذاب وتذيقهم الامرين ؟

كثيرون من اولئك الرايا كانوا قد ولدوا في تركيا وقضوا الشطر الاكبر من  
حياتهم فيها وحينما اعلنت الحرب والغيت الامتيازات واقفل الدردنيل باتوا  
يانتظرون من الاتراك ما حملته اليهم كتب التاييخ عن معاملة الاتراك الرديثة  
وتعذيبهم الاليم

على اني جربت جهدي ان اقنع الحكومة التركية بان تعاملهم بالرفق والتؤدة  
وعلى الاخص بعد ان اصبحت مسؤولاً عن شؤون الانكليز والافرنسيين  
بعد قطع العلاقات

علمت منذ البدء ان واجبي صعب للغاية لان الالمان كانوا دائماً يفرون  
الاتراك على استعمال الوسائل الوحشية في معاملة الاجانب والاتراك شعب مفطور  
على تلك المعاملة القاسية ولكني كنت متسلحاً بأدلة قوية وفي زيارتي لانور في  
ذلك النهار بسطت لديه اكثرها واستفهمت منه مما تنويه الحكومة

تركيا - كما ذكرت قبلاً - كانت تريد مصادقة الولايات المتحدة لانها كانت  
ترجو ان تنال منها مساعدة مالية بعد انتهاء الحرب . في ذلك الوقت كان العالم  
بامره يعتقد ان الولايات المتحدة وحدها تتمكن من انتهاء الحرب وعقد الصلح  
فبينت لانور عندئذ انه اذا ارادت الحكومة التركية ان تجعل الولايات المتحدة  
في عداد اصدقائها المخلصين فليحسنوا معاملة الاجانب . ومن جملة ما قلت له  
- تنتظرون الوقت حينما تساويكم بقية الامم بانفسها ولكن يجب ان تذكروا ان

ان العالم المتمدن يراقب حركاتكم وسكناتكم وأن مستقبلكم سيتوقف على حسن سلوككم ابان هذه الحرب

وكان انور ورفاقه يعلمون تمام العلم ان متمدنة الارض لم تكن تعتبرهم حكومة راقية متمدنة فكان لهذه الحجة وقعها

ثم ابنت لانور انه قد سنح لهم فرصة ليظهروا للعالم انهم يستحقون مركزاً سامياً في مصاف الامم الراقية

— ان العالم لا يزال يعتقد انكم لا تزالون في طور الهمجية فبرهنوا له بحسن معاملتكم للأجانب انه في خطأ فادح هذه هي الطريقة التي تقدررون بواسطتها ان تحرروا انفسكم من تسلط اوربا وامتيازات دولها العديدة — لتدل اعمالكم على انكم شعب راق — لتكن اعمالكم عصرية

كان استعمالك لكلمة « عصرية » في غير محله بسبب الفظائع العديدة التي كانت تحدث يومياً في البلجيك . رأى انور ذلك فقال

عصرية؟— كلا ! نعم ان تركيا ستحارب ولكنها لا تريد ان تكون في حربها هذه « عصرية » لأن الأعمال العصرية اكثر همجية واشد هولاً من غيرها . ان تركيا ستبذل ما في وسعها لتكون اعمالها مطابقة لشرائع الانسانية ليس الا

حسبت كلام انور وعداً صريحاً ولكن كمت قد اخطرت اخلاق الحكام وعلمت ما طبعوا عليه من التغير الفجائي وعلى الاخص لأن الالمان اصبحوا يدفعونهم لابقاء الاجانب رهائن حرية حتى يقتصون منهم متى هاجهم اساطيل الحلفاء كما فعل الالمان في بلجيكا

علمت كل ذلك وان الالمان سيمنعون في السماح للاجانب بمغادرة تركيا فقلت لنفسي ان هذه المعركة تظهر الغالب والمغلوب فاذا نجحت بتحصيل اذن لكل من يريد مغادرة تركيا من الاجانب المقيمين فيها اكون ظهرت بمظهر القوة مع جميع ماموري الاتراك فلا يعترضوني فيما بعد

وفي اليوم الذي تلى انقطاع العلاقات بين تركيا والحلفاء ذهبت الى المحطة الكبرى لاني كنت قد اتفقت مع ذوي السلطة من الاتراك على اعداد قطارين الاول لينقل الرعايا المغادرين الساعة السابعة والثاني لينقل السفراء وعائلاتهم



واتباعهم الساعة التاسعة ولكن لشدة دهشتي رأيت في المحطة جمهوراً غفيراً من النساء والاولاد والجنود وليس من قطار حاضر للسفر بين اولئك الجنود كان بدري بك مدير بوليس العاصمة واحد اعوان طلعت الذي كان يعتمد في مهامه الكبرى كان بدري شاباً قد درس المحاماة وانتظم في سلك اعضاء جمعية الاتحاد والترقي واصبح من ذوي النفوذ والسلطة وصار يطمح للحصول على منصب في الوزارة اشتهر باحتقاره للاجانب وبفضه اياهم ولذلك كان كثيراً ما يعترضني في المسائل التي كنت اود قضاءها لأجل راحة الريايا الانكليز والفرنسيين حتى اصبح النزاع بيننا شخصياً بين بدري بك والسفارة الاميركية حينما رأيت المحطة تموج بالرجال والنساء والاطفال ذهبت تواء الى بدري بك وسألته

— ما هو سبب ذلك كله ؟ فأجاب

— اننا قد غيرنا عزمنا وسنسمح لقطار واحد ينقل السفراء واتباعهم فقط اما باقي الرعايا فيجب ان يبقوا هنا كنت قد قاسيت اشد المصاعب للحصول على الاذن الاول ولكن ظهر لي الآن ان بعض ذوي المقام تداخلوا مع ذوي السلطة من الاتراك فهدموا كل ما بنيت وذلك التغيير جعل الموقف حرجاً للغاية لان السفراء لم يشاؤا ان يغادروا تركيا قبل ان يساعدوا رعاياهم على تركها ايضاً فذهبت حالاً الى انور وتعجبت جداً اذ رأيت موالياً لآراء بدري ومن جملة ما قاله لي اذ ذاك ما يأتي

— ان لتركيا عدداً كبيراً من الرعايا في مصر مثلاً. وقبل ان نسمح للاجانب بمغادرة تركيا يجب ان نعطي الضمانات الكافية بان الحكومة البريطانية لا تمس حقوقهم مطلقاً لم يكن ذلك الطلب بالامر الصعب فذهبت حالاً الى السرلويس السفير الانكليزي واخذت منه الضمانات الضرورية ولكن بدري اصبر على عدم السماح لقطار بالذهاب لخوفه — كما قال من حدوث اصطدام ولم يسمح حتى لقطار السفراء بالمسير الا بعد ان عرفت عن كل واحد من اتباعهم

كانت المحطة اذ ذاك في هرج ومرج — هذا يعادم هذا وذاك يتخاصم ويتشاجر

مع الآخر ، هذه قبعة تقع الى الارض وهناك امرأة علي وجهها علامات الاسف والحزن تحمل على صدرها طفلاً رضيعاً او يمشي وراءها صبية يعولون وقتت وقد كاد صبري ان ينضب — اعرف عن المسافرين واذا بالسر لويس قد انتفض فجأة ورفض الذهاب وقال — اني سأبقى هنا حتى يغادر كل انكليزي تركيا فقلت له لا تنس ان ادارة شؤون البريطانيين قد اصبحت في يدي واني لا اتمكن من القيام بواجباتي اذا انت بقيت في الاستانة — ان الاتراك لا يعرفون بي مسؤولاً عن مصالح البريطانيين اذا بقيت انت هنا فيمرقلون مساعي

ثم اقترحت عليه ان يسبهم الى دده اغاج وينتظرهم فيها فعمل حسب اقتراحي وحينما صمرت القاطرة وتحركت العجلات رميت آخر نظرة على غرفة السفير فرأيتة جالساً محاطاً بالصناديق والامتعة العديدة وعلامات القلق على محياه اما باقي الرعايا الاجانب فانظروا في المحطة نحواً من ساعتين لعلهم يفوزون بالحصول على الاذن بالسفر ولكن دون جدوى لان بدري كان مصمماً على ابقائهم . كانوا في حالة يرثى لها لانهم قد تركوا بيوتهم في الاستانة وجمعوا كل امتعتهم في الصناديق فوجدوا انفسهم الآن بدون مأوى يلجأون اليه اذا خيم الفسق ولم يسافروا

نام البعض — تلك الليلة في الفنادق والبعض في بيوت اصدقائهم اما انا فلم اتمكن من ان افهم حقيقة الواقع . في الكفة الواحدة كان قد وعدني انور وطلعت انهم سيجارون الامم المتعددة في معاملتهم للاجانب وفي الكفة الاخرى كان بدري يأمر بابقائهم . ولكن لاشك في ان ذلك العمل لم يكن من بنات فكر بدري وكنت اعتقداً ايضاً ان كل اعضاء الحكومة كانوا في نزاع شديد لا يعلمون ماذا يجب عليهم ان يفعلوا

ومما زاد الطين بلة هو عمل القواد الالمان الذين كانوا يقولون للاتراك — انكم بالسماح لهؤلاء الاجانب بمغادرة تركيا تظهرون لطفاً وليناً زائدين اخيراً وقتت للاتفاق مع ذوي السلطة على السماح لهم بالذهاب في صباح اليوم الثاني

قضى بدري ذلك النهار في سفارتي يفحص جوازات السفر وفي الوقت المعين من صباح اليوم التالي ترك اولئك المساكين تركيا وامائر الفرح والبشر بادية في محيا كل منهم وحينما وصلوا الى دده اغاج التقوا باعضاء السفارتين

ولكن بقي في الاستانة عدد كبير من الاجانب الذين كانوا يودون مغادرتها فذهبت في صباح اليوم التالي الى طلعت بشأنهم فوجدته وعلامات السرور في محياه فتوسمت خيراً: — قال لي في تلك المقابلة

— ان الوزارة تناقشت في موضوع الرعايا الاجانب المقيمين في انحاء المملكة والبراهين التي بسطتها لانور وقعت لديهم وقعاً حسناً جداً فقرروا ان يخيروا الاجانب في البقاء او عدمه وانا سنتركهم في اعمالهم دون ادنى معارضة اذا حافظوا على السكينة والنظام — اننا نريد ان نظهر بهذه المعاملة اننا لسنا نقوم متوحدين وطلب مني اذ ذاك ان اعمل على مدح تركيا في الصحف الادروية والاميركية لقاء عملها هذا

وحالما رجعت الى سفاري دعوت عدداً من مراسلي الجرائد الاوروبية ومدحت على مسمعهم الخطة التي قررت تركيا ان تسير عليها في معاملة الاجانب وابرقت ذلك الى واشنطن ولندون وباريس ولندن والى جميع القناصل الاميركية في انحاء المعمور ولكن لسوء الحظ لم اكد اتم ذلك حتى وردتني انباء سيئة وذلك اني كنت قد اتفقت مع ذوى السلطة بان يسمحوا لقطار خاص ينقل عدداً من الاجانب الى دده اغاج . وفي تلك الدقيقة علمت ان المأمورين الاتراك تمنعوا عن المصادقة على جوازات السفر فذهبت الى المحطة وهناك وجدت جمهوراً غفيراً من النساء والاطفال وبعض الرجال وعدد من الجنود الاتراك يضربون من يعصي اوامرهم بسنادهم فدهشت لهذه المعاملة الرديئة وسألت بدرى عن السبب الذي أدى الى منع القطار عن السفر فقال انه يوجد عدد كبير من المسافرين الذين لم يدفعوا ما عليهم من الضرائب . فقلت له اني اكون مسؤولاً عن كل ذلك . فضحك اذ ذاك وقال — الا يمكنني ان اتغلب عليك مطلقاً ؟

فظننت ان جوابي ارجع المياه الى مجاريها وان القطار سيسافر في السامة المعينة ولكن جاء عندئذ امر شديد بتوقيفه . فغضبت عند ما علمت بذلك الامر غضباً شديداً وصعدت الى سيارتي وقصدت الباب العالي لأرى طلعت الذي كان قد وعدني وعداً صريحاً بأنهم سيعاملون الاجانب معاملة حسنة

وصلت الى الباب العالي فلم اجده هناك . فقصدته الى بيته — وكانت تلك المرة الاولى الذي زرته فيها هناك على غير سابق اتفاق بيننا — تعجبت عند ما قابلت

بين مسكنه وقصرانور — الاول يعيش في بيت بسيط والثاني يحيا حياة البذخ والاسراف كأنه احد الابرار

رأيت في قاعة الانتظار طاولة صغيرة وعليها آلة تاغراف صغيرة هي الآلة التي كان يستعملها طلعت فيما مضى لتحصيل ما يقتات به . انتظرتُه بضع دقائق واذا به قد دخل لا بساً ثياب البيت البسيطة وجلس الى جانبي يعتذر كأنه شعر بالضرورة الماسة التي دفعتني الى زيارته في بيته واغلاق راحته العائلية

عند ذلك نظرت اليه وقلت بكلام صريح

ألا تعلم باطلعت نتائج اعمالكم هذه . منذ ساعتين او ثلاث فقط صرحت لي بانكم قد قررتم ان تعاملوا الاجانب بما تقضي به قوانين الانسانية المجردة العادلة وطلبت الي ان انشر خبر ذلك القرار في الصحف الاوروبية والاميركية . وللحال بعد ان تركتكم فعلت ما طلبته مني والعالم بأسره في صباح الغد سيقراً ما عزمتم عليه . والآن كأنكم باعمالكم هذه تقاومون ما ابذله من الجهد في سبيل تعزيز شأنكم . هل حشتم بوعدهم الاول ام انتم عليه مقيمون ؟ هل تريدون ان تثبتوا على عهودكم ام تودون ان تبقوا كريشة في مهب الريح ؟ ان المبادئ الاميركية تقضي علينا ان نقوم بالوعد ولو ادى ذلك الى خسارة حياتنا . تفعل ذلك افراداً ومجموعاً ومحتقر كل من يفعل عكس ذلك وتفضل ان تتركه وشأنه . والآن ليكن معلوماً لديك انه لا يمكننا ان نتعامل معاً ما لم اتمكن من الاعتماد على وعودكم

فقال — ليس الذنب ذنبي بل ذلك هو عمل الالمان . لقد رجع الآن رئيس اركان الحرب فغضب جداً حينما علم اننا سمحنا لهم بالذهاب وهو يريد ان نبقىهم رهائن حرب عندنا وانه يجب ان لا نتساهل بهذا المقدار

كان ذلك تمام ما كنت اعتقد . وعد طلعت فجاء برونسار رئيس اركان الحرب وحال دون اتمام الوعد . فنظرت عند ذلك الى طلعت وقلت — طلعت لا بد لكم من مساعد خبير تستشيرونه في علاقاتكم مع الاجانب . والآن يجب ان تقرروا اذا كنت تريدني — انا — ام رئيس اركان الحرب الالماني . الا تعتقد انك تخطيء بمحمل كل شؤونكم في يد الالمان ، فلا بد من مجيء اليوم تطلبني ان اساعدك عليهم

— ماذا تعني بعبارتك هذه

— فقلت ان الالمان سيطالبون اليكم ان تفعلوا اشياء كثيرة لا ترون عملها مناسباً

فاذا قلتم لهم ان السفير الاميركي يعترض على ذلك قد تنجحون في مقاومتكم اياهم. ولا شك انكم تعلمون ان الكل ينتظرون عقد السلم بعد اشهر قليلة ولا ريب في ان الالمان لا يهتمون بتركيا مقدار ذرة . ولكن يوجد حكومة واحدة بإمكانها ان تكون صديقتكم المخلصة — وهي الولايات المتحدة الاميركية

فأثر فيه هذا الدليل الساطع . وكنت قد علمت انه يوجد تقور شخصي بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية وكنت متأكداً من ان طلعت لا يقبل ان يضعي بشيء من سلطته في سبيل تعزيز الجيش وزعمائه فقلت — فاذا تركت الالمان يفعلون ما يريدون اليوم تصبح غداً في قبضتهم . انت اليوم صاحب السلطة المطلقة في المملكة فهل تريد ان تسمح للسلطة العسكرية المحسنة بانور والالمان ان يتسلطوا عليك ؟ فاذا خضعت لهم اليوم تجد انهم من الآن فصاعداً سيديرون الشؤون حسب مشتهام

كنت اتكلم واراقب وجه طلعت لأري تأثير كلامي فيه . بقي ساكناً بعد ان انتهيت كأنه يتأمل بما قلته ثم قال بتأن وهدوء — اني سأساعدك ! ثم ادار وجهه نحو الطاولة حيث كانت آتة التلغرافية وبدأ ينقر بأصابعه على مفاتيحها ثم نظر اليّ وقال — ان مدير المحطة يريد اوانر انور الخطية لان الرسائل التلغرافية فابلة التزوير

مضى عليه مدة قبل ان تمكن من ان يعرف مركز انور وحينما وجده اخذ واياه بالمشاحنة

في تلك الدقيقة وردت رسالة برقية كادت تقضي على نجاحي قضاء مبرماً وذلك ان طلعت علم ان الانكليز قد اطلقوا قنابلهم على حصون الدردنيل فقتل رجالان من الترك فعلق طلعت عليها قائلًا ونحن سنقتل ثلاثة نصارى مقابل كل مسلم فشعرت حينئذ اني قد فشلت في كل مساعي ولكن بدأت يبسط البراهين الممهودة ثابته ووجدته بين طاملين قوين عامل النار من الانكليز والثاني اظهار قوته واثبات سلطته في ادارة شؤون تركيا . ولحسن الحظ تغلب الثاني

بقيت هنالك نحواً من ساعتين هو يعمل على آلة التلغراف ومن آن الى آخر يطلعي على قراراتهم السياسة الاخيرة . كيف استقال جاويد وكيف وعد انه سيعمل لهم في بيته — وكيف عزم سعيد حليم باشا ان لا يستقيل وكيف انهم

عزموا على عدم معارضة الاجانب في جميع انحاء المملكة — وكنت اشته من خلال اقواله رائحة عدم موالاته للامان الذين كانوا حجب عثرة في سبيل نفوذه الكلي — اخيراً اتفقنا على موعد سفر القطار فركتة وذهبت الى المحطة حيث وجدت ذلك الجمع الغفير ينتظر بفارغ صبر . وحينما اخبرتهم انه سمح لهم بالسفر بانث عنهم الاتراح والاحزان

على ان ماصرح به طلعت من ان الامان اوقفوا القطار المعين ومنعوه من تقل الاجانب دفعني الى الفحص عن واقعة الحال فذهبت الى ولفنهايم السفير الالماني وقلت — ان الحكومة التركية تبذل وسعها لتكون حكومة راقية ورجالها وعدوتي بانهم سيعاملون الاجانب بكل رفيق ! والامان وفي طليعتهم رئيس اركان الحرب كانوا دائماً يحولون بين الاتراك ووعودهم

كانت الحكومة الالمانية تنظر الى الرئيس ولسن كارجل الوحيد القادر ان يتداخل مع الدول المتحاربة في سبيل السلم . ولذلك برهنت لوفنهايم : انه اذا استمر الامان على تلك الاعمال تستاء الحكومة الاميركية من اصحابهم تلك وربما آثر ذلك في علاقات الولايات المتحدة بالصلح المقبل . فاعرب عن ارادته في مساعدتي ولكن طلب الي ان اقنع حكومة الولايات المتحدة ان تجعل التجارة مع المانيا حرة لان المانيا في ميس الحاجة للمواد الاولى لمعاملها الحربية والصناعية ولكن رغباً عما اعربه ولفنهايم من رغبته في مساعدتي لم التقي من سفارته اقل مساعدة بل كنت كثيراً ما ارى مقاومة لمساعي من الامان اصحاب النفوذ ولذلك لم اتمكن من الاتكال على وعود انور وطلعت بل كان يتوجب علي ان اراها بارزة الى حيز الوجود

## الفصل الثاني عشر

نوتر دام ده سيون

كان يوجد في الاستانة مدرسة فرنسية تديرها عدة راهبات راقيات . تؤمها بنات الطبقة العليا في الاستانة لتتلقى فيها العلوم والفنون واللغات الراقية وكانت تلك المدرسة آخر ما اوصاني به السفير الافرنسي قبلما غادر الاستانة استيقظت في صباح احد ايام تشرين الثاني (نوفمبر) وكانت مخاوفي على تلك

المدرسة قدملاّت غيّلتي فخلعت في الليل ان الاتراك هجموا عليها ونهبوا ما فيها. اخبرت زوجتي عن حلبي فقالت انها تشعر بشيء من ذلك ايضاً . فمزمنا للحال ان نذهب لنرى اذا كان من سبب حقيقي لتلك المخاوف التي كانت تساورنا . فتناولنا طعام الصباح بسرعة وركبنا السيارة وذهبنا الى نوتر دام دي سيون . ولما اقرينا من البناية لم نسمع الضجة المعتادة بل كان السكوت سائداً في كل الانحاء . ارتقينا درجات السلم فتبعنا خمسة انفار واحاطوا بنا احاطة السوار بالمعصم ولما رأت الراهبات ان السفير الاميركي مقبل وبصحبتة انفار الشرطة ازدادت مخاوفهن . ثم نظرت الى الانفار وسألتهن بالانكليزية قائلة — ماذا تريدون ؟

لكنهم لم يفهموا تلك العبارة وبما ان معرفتي للتركية كانت قليلة جداً لم اتمكن من البحث معهم انما تمكنت ان افهمهم اني السفير الاميركي فابتعدوا عني محترمين مركزي لاشخصيتي . في تلك الاثناء ارسل الراهبات يدعون رئيستهن وكانت هذه المرأة من اشرف عائلات فرنسا واکرمها محتداً كرس حياتها لخدمة التربية والتهذيب فاخذت هذه تقص عليّ الحادثة بحذافيرها ثم استدعت احدى الراهبات اللواتي يجدن التركية وسألت اولئك الانفار عما يريدونه فقالوا انهم تلقوا الامر من مكتب مدير البوليس — بدري — وغواه ان كل مدارس الاجانب يجب ان تقفل في ذلك الصباح وان الحكومة ستستولي على المباني ومحتوياتها . كان يوجد في ذلك الدير نحو اثنتين وسبعين معلمة وراهبة — واولاء — صدر امر مدير البوليس بزعجهم في غرفتين فقط الى ان يتم التفتيش واما التلميذات فيجب ان يرمون في الشارع — ولا يقدر احد ان يتصور فظاعة ذلك الامر الا حينما يعلم ان ميازيب السماء كانت تتدفق على الارض

علمت انه لا يمكنني ان اتصرف بهذه المسألة بدون ترجان السفارة التركي فكلّمته بالتليفون ولم يعض عليه بضع دقائق الا وكان حاضراً . كنت انا قد اوقعت تنفيذ اوامر الشرطة حتى اتي ترجاني وفي تلك الاثناء كانت زوجتي قد استعملت بالاسهاب عن الحادثة من باقي الراهبات . وكانت قد درست فلسفة اخلاق الاتراك درساً دقيقاً فعلمت انهم لم يأتوا ذلك العمل الاطمعاً بالريج المادي وللحال سألت احدى الراهبات —

— هل عندكن نقود في الخزينة ؟

فاجبنا كلهم انه كان عندهن كمية كبيرة من النقود محفوظة في الدور العلوي فسألني ان اشغل الشرطة قليلاً لكي لا يتبعوها وصعدت الى حيث كانت النقود فوجدت التي ليره ذهبية كان الراهبات قد جمعنها ليستعملنها في حين الحاجة اليها . وفضلاً عن هذه النقود الذهبية كان عندهن عدد كبير من الرهائن والودائع الثمينة والاوراق المهمة بيدها فرمان المدرسة الشاهاني

علمت مسر مورغنتوانه لو علم الشرطة الاتراك بذلك الكنز لما ابقوا على شيء منه فاخذت اذ ذاك تخفي ما قدرت على اخفائه في ثيابها ومشيت بين صفوف الشرطة الى السيارة وذهبت فيها الى السفارة الاميركية لتضع النقود في محل امين ثم عادت الى الدير وكررت ذلك العمل فتمكنت بتلك الوسيلة من ان تخلص من يد الاتراك كمية من النقود ساعدت اصحابها ايام الضنك والجوع

وفي تلك الاثناء كان بدرى مدير البوليس قد جاء . واخبرني ان طلعت اصدر الامر باقفال كل المعاهد العلمية الاجنبية . ثم قال باسمك - عزمنا ان نتم كل شيء في الصباح قبل ان تتمكن من معارضتنا ولكن يظهر لي ان جفئك لا يغمر عينك ولا تنام . فقلت له - ان عمالك هذاجنون محض . الا تعلم انى سأكتب كتاباً في المستقبل اصف فيه اختياراتي في الاستانة

فقال بدرى - هل تنوي حقيقة ان تؤلف كتاباً عن الحالة هنا ؟ - نعم كل السفراء السابقين كتبوا كتباً يصفون فيها اختباراتهم الشخصية وحينما اكتب كتابي ستكون انت احد المذكورين فاما للخير واما للشر والفساد هؤلاء الراهبات لم يضررن احد بل هن يبذلن وسعهن لتربية بناتكم - فلماذا تعاملونهن بهذه الطريقة السيئة . فأثر كلامي هذا في بدرى ووقف تنفيذ الاوامر حتى تتمكن من مخاطبة طلعت تلفونياً

لم يمض عليه بضع دقائق حتى سمعته مقهقهة وهو يقول - جربت ان اعمل كل هذا دون معرفتك ولكنك غلبتني . لماذا تهتم بهذه الامور . لم يفعل الفرنسيون انفسهم اكثر من هذا برهبانهم وراهباتهم ؟ افلا يحق لنا ان تفعل اكثر من هذا؟ وبعد اللتيا والتي اتفقنا على عدم تنفيذ الاوامر الى ان تسنح الفرصة للبحث في هذا الموضوع ملياً . فقرحت رئيسة الدير بذلك ولكن بدرى لم يعتم ان قال







« غليوم الثاني بشياب فيلد مارشال تركي »

حسناً تركت الراهبات ولكن نريد تقودهن - فناقشته طويلاً في ذلك الموضوع  
واخيراً سلمت معه لأنني كنت أعلم أن كل الأشياء الثمينة نقلت إلى السفارة الأميركية  
فتشوا كثيراً ولكن عبثاً كانوا يفتشون وحتى اليوم لا يعلمون ما حدث للنقود  
التي كانوا يحاولون الحصول عليها

أما بدري فآخذ يفكر بما قلته عن تأليف الكتاب وبقي يذكرني بقولي في  
الأسابيع التالية . وبقيت أهدده بأنني سأصوره في ذلك الكتاب رجلاً ندلاً  
سافلاً إذا لم يغير معاملته للأجانب

وفي أحد الأيام سألتني مما يجب أن يفعله لكي يذكر بالحسن فسئلت إذا ذاك  
لي فرصة كنت أترقبها من وقت بعيد وذلك أن تجارة الرقيق الأبيض كانت من  
أقبح شُرور الاستانة . وكانت قد تألفت لجنة لمحاربة ذلك الداء الاجتماعي الفظيع  
وانتخبت أنا رئيس شرف لها

فقلت لبدري لقد أصبحت منذ وقوع الحرب ذا سلطة كبرى وأنه إذا شئت  
تقدر أن تفعل ما يخلد لك ذكراً حسناً ويخلص عاصمة مملكتك من وصمة أديبة ولطخة  
عار اجتماعية . فصادف هذا الاقتراح قبولاً حسناً لديه ولاحق ذلك العمل إلى  
النهاية بدربة فائقة

لم أتمكن إذ ذاك من تأليف الكتاب . ولكنني شعرت أنه يجب أن أذكر ذلك  
العمل في إحدى الصحف الأميركية فأرسلت صورته وخلاصة ذلك العمل إلى  
حريدة التيمس النيويوركية وحينما وصلني العدد حيث نشرت صورته دعوته  
وأريته إياها فسر سروراً لا يوصف وكان ذلك آخر عهدي به كمقاوم لأعماله  
ومحبط لمساعي

## الفصل الثالث عشر

### المانيا والجهاد

في أشهر الحرب الأولى كان السفير الألماني في تركيا والرأي العام في ألمانيا  
موالين للحكومة الولايات المتحدة الأميركية ولكن حالما أعلنت تلك الحكومة أنه  
ليس بوسعها خرق قوانين الحياد في سبيل مصالح ألمانيا تغير موقف الألمان الودي  
وأصبحوا ينظرون إلى ولسن وحكومته بعين العداء

ولم يكن لدي ولنغنهايم حجة يبيدها الا قوله لماذا تباع حكومة الولايات المتحدة الذخائر الحربية للحلفاء ولا تباع المانيا . واني اذكر تماماً اني لم التق به مرة ألا وشرع يبحث في ذلك للموضوع وحينما بدأت الحلفاء باطلاق القنابل على معاقل الدردنيل ازدادت حماسته عند البحث في ذلك للموضوع لانه كان يدعي ان أكثر القنابل التي استعملت هنالك صنعت في اميركا وبيعت للحلفاء

جاءني في احد الايام وأماثر الغضب الشديدة بأدية في عيائه ومعه قطعة من قنبلة وقد حفر عليها هذه الاحرف B.S.Co. وقال

— انظر الى هذه . الا تعلم الى ماذا تشير هذه الاحرف ؟ انها تدل على انها صنعت في معمل شركة اميركيه والله أكبر حينما يعلم الاتراك ذلك اننا الآن نجمع الادلة الكافية وعندما يحين الوقت سنطالب الولايات المتحدة بكل ضرر احدثته قنابلها التي اشتراها الحلفاء . فغير لكم ان تخبرهم انه اذا توقعوا عن بيع الذخائر لاعدائنا تنتهي الحرب في مدة وجيزة

فدافعت عن موقف اميركا وقلت له ان المانيا باعت الذخائر الحربية لاسبانيا في حربها مع اميركا . ولكن كل ماقدمته من الادلة لم يجد ثمناً لانه كان يعتقد ان ذخائر اميركا الحربية كانت تساعد اعداءه على احراز النصر ولم يكن يهتم بقانونية العمل او عدمها ولذلك رفضت ان اكتب الى الرئيس ولنس بهذا الصدد رفضاً باتاً

بعد هذا الحادث بعدة ايام ظهر على صفحات جريدة اقدام التركية مقالة ضافية تبحث عن العلاقات التركية . الاميركية . وكان الهدف الذي ترمي اليه تلك المقالة ان موقف اميركا الودي نحو تركيا لم يكن مطابقاً لما كانت تأتبه حكومة الولايات المتحدة من بيع الذخائر الحربية لاعداء تركيا وفي آخر المقالة كتبت هذه العبارة ، «وقد روى مكاتبو الصحف في ساحة الدردنيل ان أكثر القنابل التي اطلقت

على الحصون من صنع المعامل الاميركية »

في ذلك الحين كانت السفارة الالمانية مهيمنة على سياسة اقدام وادارتها ، وبما اني علمت ان وجود مقالة كهذه قد يؤدي الى صعوبات انها في غنى عنها عازمت على متابعة المسألة الى النهاية فبدأت بالاستخبار من ولنغنهايم لاني كنت اعتقد انها كتبت بأمره

اما هو فخر ب ان يتنصل من تبعيتها ولكن اظهرت له ان الافكار في المقالة المنشورة في اقدام كانت نفس الافكار التي صرح بها امامي من قبل وان بعض العبارات تكاد تكون ذاتها وقلت له ايضا — اما انت كتبتها بنفسك او كتبت باصرك بعد ان وقف كاتبها على افكارك ومراميك فلم يتمكن اذ ذاك من الانكار فقال — حسنا ولكن مالنا ولها فقلت له : —

لا بل يهمني ذلك جداً . فأما ان تتوقف عن اثاره ساكن الاتراك على الولايات المتحدة واما ان ابدأ بحركة انت تعلم انها تناقض سياستكم تمام المناقضة . قلت : يا حضرة السفير ان موقفكم هنا ضعيف جداً وان الرأي العام في تركيا لا يستميلكم بل يفضل الاميركيين عليكم . هب اني ذهبت الآن الى ذوي السلطة وقادة الشعب وقلت لهم ان الالمان يستعملونكم لتنفيذ ما يرغبهم الوطنية وانهم لا يحسبونكم حلفاء بل خدم تساعدونهم لاتمام ما يريدون — وانت تعلم ايضا انك بعملك هذا تثير الاتراك على مدارسنا وكنائسنا : فاما ان تتوقف عن هذا العمل حالا واما ان اثير الرأي العام في كل انحاء المملكة عليكم — ها انا حاضر للنزال ! فتغير موقف ونفنهايم فجأة فنهض ووضع يده على كتفي وقال — — لنكن اصدقاء . اري انك مصيب في هذا الامر لأن عملي يضر اصدقاءكم المرسلين وانا اعدك ان هذه الحركة ستنتهي حالا

ومن تلك الساعة لم تعد الصحافة التركية تذكر الولايات المتحدة الا بالاجلال والمحبة ولكن حينما اذكر مقاله لي ونفنهايم عن غايتهم من ادخال تركيا في الحرب اكاد اتميز غضباً

هنا لك في مكتبه ، وثقافته في فمه ، قال لي ان المانيا كانت ترمي الى اثاره العالم الاسلامي على المسيحيين — الى انها كانت تنوي تسخير حرب دينية للقضاء على سلطة انكلترا وفرنسا في مستعمراتهما الاسلامية كالهند ومصر والجزائر وغيرها . ان تركيا بحمد ذاتها ليست شيئاً مهماً . حيشها صغير ضعيف ولا ننتظر منه افعالاً مجيدة في ساحات القتال ولكن نحن لا نرى في تركيا الا العالم الاسلامي فاذا تمكنا من اثاره الرأي الاسلامي العام صد انكلترا وفرنسا وروسيا نكون قد ارغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب

وفي الثالث عشر من شهر تشرين الثاني اعلن السلطان بصفته خليفة المسلمين الجهاد العام وبعد ذلك وقت قصير نادى شيخ الاسلام حاضاً كل العالم الاسلامي على النهوض ومحاربة الذين ظلموهم قرونًا متوالية وانهى ذلك الدعاء بهذه العبارة ايها المؤمنون انكم مستعدون لبذل مهجكم لاجل الحق — الا اجتمعوا حول عرش الخلافة واطيعوا اوامر الله الذي يعدكم براحة العالم الآتي . الا عفروا وجوهكم امام عرش الخليفة واعلموا ان المملكة في حرب عوان مع روسيا وانكلترا وفرنسا وحلفائهم اعدائكم . ان امير المؤمنين يدعوكم ايها المؤمنون لشد ازرهم في هذه الحرب للقدسة

قرئت هذه الدعوة في الجوامع ونشرتها الجرائد بأحرف تستلفت الانظار وانتشرت كثيراً في كل البلدان الاسلامية كالمند والصين وبلاد المعجم ومصر والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش وغيرها . وكانت اقدام الجريدة التركية الكبرى كثيراً ما تنشر مقالات ضافية تحت فيها الاسلام على الاتحاد ضد اعدائه وهذه عبارة تدل على روح كتابات تلك الجريدة اقتطفها من احدي مقالاتها « ان اصمال اعدائنا ازلت غضب الله على الارض . فيتحنن على كل مسلم . شاباً كان او كهلاً . امرأة او ولداً ان يقوم بما عليه — ها قد حان الاجل فيجب علينا ان نحارب بكل مالدينا من العزم والقوة لكي نخلص اخواننا في الدين من ظلم وعبوديتهم والله لنا خير معين »

هذا قليل مما ظهر علنياً من الدعوة لحرب مقدسة او للجهاد في سبيل تحرير الاسلام . ولكن ظهر في ذلك الاوان نشرة وزعت سرّاً في كل البلدان التي يقطنها مسلمون : كتبت تلك النشرة بلغة القرآن الشريف — العربية — لكي تثبر الحمية الدينية في كل من يقرأها — وفيها نجد وصفاً مسهباً للطريق التي يجب ان يتبعها الاسلام للتخلص من اعدائهم وسأكتفي بشقل بعض اجزاها : —

— ايها المؤمنون تأملوا حالة الاسلام الحاضرة فلا بد لكم عندئذ من ذرف الدموع الحارة عن حالته المحزنة : انكم تشاهدون البلدان الواسعة وفيها الملايين المديدة من اخوانكم ، في قبضة اعدائكم واعداء الله — الانكليز المشركين — تشاهدون اربعين مليون مسلماً في جاوى يرسفون في قيود الاستعباد للهولنديين الذين يقلون عنهم عدداً . تشاهدون مصر ومراكش والجزائر وتونس والسودان

الملايين يعانون من الآلام أشكالا والوانا تحت سلطة اعداء الله ورسوله : تشاهدون بلاد سبيريا وتركستان وكيف وبخارى والقوقاس والقريم وغيرها وسكانها المسلمين يثنون تحت نير الظلم والاستبداد : تشاهدون بلاد المعجم على وشك التفرق والانتقام وترون مدينة الخلفاء مسرحا لمظالم المستبدين : وكيفما وجهتم انظاركم تشاهدون اعداء دينكم الانكليز والروس والفرنسيين يدوسون حقوقكم ويسومونكم ص المذاب والشقاء . اننا لا نتمكن من احصاء مساوئهم فهم يريدون هدم بناء الاسلام للفخم ومحو اثر المسلمين من وجه البسيطة  
لقد طفق الكيل !!

انتم تزرعون وهم يحصدون — انتم تتعذبون وهم في مجبوحة من العيش يمرحون انتم الى ادنى الدرجات هبطون وهم درجات العز والمجد يتسمنون — هم الاسياد وانتم العبيد — وما ذلك الا نتيجة تفرقكم وانقسامكم — ها قد اعلنت الحرب المقدسة وبلاد المسلمين ستحرر من ايدي حاكبيها الظالمين . فالجهاد اذا واجب مقدس على كل مؤمن . اعلوا اذا انكم تقدرون ان تهرقوا دماء الاعداء دون ان تخطئوا — الادماء حلفائنا ( وهنا يذكر الالمان والفرنسيون ) فكل من يقتل واحدا من هؤلاء المشركين الذين يستبدون بنا مرأ وعلنا خيرا يجازيه الرحمان الرحيم ، فليقسم كل مسلم في كل انحاء العالم بانه يقوم بما عليه نحو الطغاة الظالمين لانهم اعداء الايمان

لقد حان الاجل فلننهض كرجل واحد — سيفه في اليد الواحدة وبندقيته في الاخرى ، في جيبه قذائف تجلب الموت الزؤام وفي قلبه حرارة الايمان ولنرفع صوتنا قائلين الهند للمسلمين الهنود ( وهلم جرا ذاكرين كل بلاد مسلمة ) وكل من يتصفح تلك الكراسة متاملا يرى اثرا لليد الالمانية في انشائها مثلا — علم الالمان ان اعلان الجهاد العام يضر بهم ايضا فدفعوا الكاتب الى استثناء « حلفائنا »

اشاروا على المسلمين ان يألفوا حيشا لا يد للاجانب فيه ولكنهم استثنوا القواد والضباط الالمان حلفاءهم

كانت الدوائر السياسية الالمان تعتقد انها ارتكبت خطأ عظيما بجر انكلترا لخوض غمار الحرب مع اعدائهم ولذلك ارادوا بواسطة ونفهايم ان يقسموا ظهرها

بأثارة الفئان في مستعمراتها العديدة بواسطة اعلان الجهاد الاسلامي فتخوفت جداً اذ ذاك من انتشار هذه الدعوة ولكن فشلت تلك الدعوة للجهاد منذ البدء لان المسلمين في كل الانحاء علموا ان انكثرا تعاملهم احسن جداً مما يعاملهم غيرها من الدول الاوربية والمسلمون في كل الانحاء لم يفهموا لماذا يقضي عليهم دينهم بحاربة البعض والابقاء على البعض الآخر وهكذا فشل امل المانيا بالحصول على انتصار باهر سريع بواسطة اعلان الحرب المقدسة واثارة عواطف الاسلام على اخوانهم في البشرية

## الفصل الخامس عشر

جمال باشا — الالمان والصلح .

في اوائل نوفمبر ( تشرين الثاني ) سنة ١٩١٤ رأت محطة حيدر باشا في الاستانة مشهداً عظيماً ووداعاً لم يسبق له مثيل كان جمال باشا ناظر البحرية واحد الثلاثة الذين يديرون دفعة الملك في تركيا ذاهباً الى سورية ليستلم قيادة القليلق الرابع الهمايوني . نخرج كل اعضاء الوزارة مع جمع غفير يضم عليه القوم لوداعه وكان الجيش يحيمه ويهتف له كمنخلص مصر وقبل ان يصفر القطار مؤذنا بدفوس ساعة السفر اعلن جمال باشا على رؤوس الاشهاد ما ملخصه —

« قد عقدت النية ان لا ارجع الى الاستانة قبل افتتاح مصر » لم اكد اري ذلك المشهد القمقم حتى رجعت بي خيالي تطوي الاعوام والقرون الى ان استقرت في تاريخ روميه على مشهد يشبه ما رأيته في القرن العشرين الا وهو حفلة وداع مرقس انطونيوس حينما غادر روميه ليخضع الشرق كانت تركيا مثل رومية في ذلك الوقت — في دور الانحطاط والانحلال فرأى جمال باشا ان يبذل جهده لعله يتمكن من ان يصير حاكماً لولاية غنية وكان يؤمل انه ان افلح بافتتاح مصر يال شهرة عالمية واسعة ابتسم اصحاب السلطة في الاستانة لذهاب جمال لانه كان دائماً ححر عثرة في





✽ آنور ماشا ✽

✽ جال ماشا ✽



سبيل تنفيذ مآرهم الشخصية اذ كان مثلهم طموحاً الى الاتفراد بالسلطة. فأرادوا ان يبعدوه الى ولاية في اطراف المملكة حيث يتمكن من ان يحيا حياة الابهة والمجد فزينوا له افتتاح مصر باجل الصور وابهاها فغره الطمع لاعتقاده انه اذا افتتحها يحلده اسمه في التاريخ مقروناً بالمجد والفخر  
وفضلاً عن ذلك لم يكن محبوباً من سكان العاصمة . لما عرف به من القساوة وحب سفك الدم

قرن طلعت الى بعض نياته الشريرة طلاوة الوجه وحلاوة الحديث فاستترت ، وجمع انور الى عيوبه واشهره شجاعة نادرة وصورة حسنة فغطت الثانية الاولى ولكن وجهه جمال . قال لي احد الاميركيين المتصلعين من علم القراسة — يجمع القوة والشراسة فلا يقدر احد ان يرى فيه لطفاً واياساً . كانت عيناه سوداوان اذا نظر اخترق الصدور وفهمكته كانت ممزوجة بشيء من المعاني الوحشية بعدما التقيت به لأول مرة سألت عنه وعن تاريخه وحياته في الحكومة التركية فقيل لي انه رجل يحسب الاعداء من واحباته اليومية . كان — مثل اكثر الاتحاديين — من اصلٍ وضعيف . انحرف في سلك جمعية الاتحاد والترقي ولم يتم ان يصبح من زعمائها المقدمين . وبعد قتل ناظم عين جمال حاكماً عسكرياً للعاصمة ونيط به امر ابعاد كل مقاومي سياسة الاتحاديين واعدائهم فقام بتلك المهمة احسن قيام

بعد ذلك رقي الى منصب وزير البحرية فلم يتمكن من الاتفاق مع رفاقه لان سياسته كانت فرانسوية وسياسة رفاقه — انور على الاخص — كانت المانية انا اعتقد ان جمال هو الرجل الوحيد الذي لم يقع ضمن دائرة تأثير الالمان . ولكن سياسة « تركيا للاتراك » كانت قد بدأت تتحسم فيه . كان يبغض الشعوب الغير التركية في المملكة العثمانية من عرب اسلام ومسيحيين ويونان وارمن ويهود وشركس وكان طموحاً للعلو يدفعه الى الاختلاف مع انور وطلعت وقد صرحا امامي غير مرة واحدة انهما لا يقدران ان يخصمانه . فزيننا له افتتاح مصر ونجحنا بابعاده عنهما . وهذا التعيين نفسه يدل على اختلال النظام في تركيا . كان جمال وزير البحرية ومركزه الحقيقي في بناء وزارة البحرية . ولكن تنفيذاً لبعض المآرب الشخصية ارسل الى صحراء سينا المحرقة

على ان ارسال جمال لاسترجاع مصر لم يكن الا عملاً واحداً من الاعمال التي استخدمتها الحكومة التركية — مدفوعة من الالمان — لاثارة الاحقاد والضغائن بين الشعب التركي والحلفاء

مضى على تركيا نحو قرن كامل وهي تخسر من املاكها الواسعة الولاية اثر الاخرى . ولكن لم يؤثر فيها خسارة كل ولاياتها جماء مثل خسارة مصر . كان الانكليز قد احتلوها احتلالاً عسكرياً ولكنهم كانوا معترفين بسلطة السلطان العثماني الاسمية . ثم لما دخلت تركيا الحرب ضد انكلترا وحلفائها اعلنت الحكومة البريطانية ضم مصر الى مستعمراتها فاستاءت الحكومة التركية لذلك العمل واعلنت للشعب انها ارسلت جمالاً لاسترجاعها (١)

وغادر انور الاستانة حينئذ ليقود الحملة التركية في القوقاس لان الاتراك كانوا يؤملون ان يسترجعوا الولايات التي فقدوها هنالك . ولكن انور لم يغادر العاصمة بين هتاف الجمهور وتهليلهم كما فعل جمال بل تركها ولم يعلم به احد كل هذه الظواهر تدل القاريء على ان الاستانة كانت قد اصبحت مركزاً مهماً من مراكز الحرب العامة . ولكن رغمًا عما كنا نراه فيها من الاستعدادات الحربية والبحرية — اصبحت بفتة اعظم مركز للمفاوضات بشأن عقد الصلح كان الاسطول البريطاني يهدد الاتراك بهدم معقل الدردنيل والعاصمة كانت تموج بالجنود الداهية الى ساحة الوغى ولكن كل هذه المظاهرات لم تهتم السفير الالماني لانه كان يفكر بشيء واحد وهو الوصول الى « سلم عاجل » لانه علم ان اعظم خدمة يقدر ان يقوم بها نحو امبراطوره ووطنه هي الحصول على سلم شريف سريع فيخلص المانيا من عواقب حرب طويلة وشرورها وفي ايلول سنة ١٩١٤ اخذ يفاوضني بهذا الموضوع لان المانيا « لم تكن قد استعدت للحرب فقط بل للسلم ايضاً » قال

— « ان القائد الحكيم هو الذي لا يبدأ بتنفيذ خطة الهجوم ما لم يكن قد هياً خطة التراجع ايضاً — وهذا المبدأ ينطبق على حياة الام ايضاً . لا بد لكل

---

(١) ان الحوادث التي حرب بعد عقد الهدنة وتقدم القضية المصرية مروفة لدى القراء فلا تتولى تلخيصها في هذا المقام

حرب — من نهاية ولذلك يتحتم علينا ان نهىء خطة الحرب السلمية وعلى ان يرمي بمجنودها الى ساحات القتال » .

هذه مقدمة ونفنهايم الفلسفية . ولكنه لم يكن ميالاً الى النظريات فقط ان لم يكن منها تقع مادي محسوس له ولملكته

كانت المانيا قد استعدت لحرب قصيرة الامل لانها كانت تعتقد انها ستتمكن من قهر اعدائها بمدة وجيزة . ولكن اخفقت آلهامها تلك وعرف ساستها ان انكسارهم في حرب طويلة قد صار مرجحاً ولذا فهموا ان تعاديبهم فيها يصبح ضرباً من الجنون لانهم بذلك يخسرون مركزهم الاقتصادي واسطولهم التجاري وعدداً من مستعمراتهم

كان ونفنهايم قد قال لي

— اذا لم ندخل باريس في ثلاثين يوماً نكون قد غلبنا . وبعد معركة المارن الاولى قال

— لقد اخطأنا خطأ فادحاً لاننا لم نخزن مؤن وذخائر تكفيها لحرب طويلة ولكي خطأ لن نرتكبه في المرة القادمة فسنخزن من القطن والنحاس ما يكفيها خمس سنوات متوالية

ومما يدل على ما طبعت عليه السياسة الالمانية من الاثرة وحب الذات وعدم احترام مصالح حلفائها ان العامل الذي دفع ونفنهايم للتعجيل في عقد الصلح هو انقاذ الحملة العسكرية التركية لاسترجاع مصر . قلق ونفنهايم وكل الالمان لخوفهم من نجاح الاتراك في استرجاع مصر فيقف ذلك النصر في سبيل سياستهم الشرقية سداً منيعاً . وذلك لأن المانيا كانت تريد ان تحصل من انكلترا على تصريح باحترام نهوض المانيا في العراق نتيجة لاعترافها بنفوذ انكلترا في مصر

واشتد الشعور الالمانى بوجوب عقد الصلح في اواخر ١٩١٤ وأوائل ١٩١٥ فخلوا انظارهم الى الاستانة لاعتقادهم ان الرئيس ولسن يتداخل في الامر بواسطة سفيره فيفاوض جميع معتمدي الدول

وظهر في الاستانة رجل الماني لعب دوراً كبيراً في السياسة العالمية أثناء الحرب الكبرى وذلك الرجل هو الدكتور فون كلمان الذي أصبح بعدئذ

ناظر خارجية المانيا وعقد معاهدة برست ليتفسك الشهيرة . ولد هذا الرجل في  
الاستانة . وكان والده رئيس شركة سكة حديد اناضوليا ولذلك كان يفهم فلسفة  
اخلاق الاتراك فهما ساعده جداً في انعام الشؤون التي نيطت به حينما عين مستشاراً  
للسفارة الالمانية في الاستانة بدلاً من فون موتيروس . ظهر بمظاهر الصداقة المتينة  
للسفارة الاميركية حال وصوله للاستانة واصبح موضع اعجاب الجميع لانه كان  
كثيراً ما يحدثنا عن اساليب الحرب الحديثة فأخذ بمجامع القلوب ولكن كل احاديثه  
كانت تحوم حول نقطة واحدة وهي سياسة المانيا العالمية

فلننت في الارل ان فون كلان لم يكن بالرجل الخطير . ولكن بعد ان اجتمعت  
به عدة مرات علمت انه كان ذا اطلاع واسع على سياسة العالم طارفاً بمداخلها  
ومخارجها ولكن لم اعلم ان اكتشفت تأثير ذلك الرجل السري . لم يكن ينبس ببنت  
شفة في الاجتماعات الرسمية ولكنه كان يصنى الى الحديث فيعي كل قول ويحل كل  
معنى فكان يد ونفنهايم اليمنى ومساعدته الاكبر

في اواسط ديسمبر ذهب فون كلان الى المانيا وبقي فيها نحواً من اسبوعين .  
وعند رجوعه لاحظت حركة غير اعتيادية في السفارة الالمانية

كان حديث ونفنهايم شأن الصلح غير رسمياً قبل ذلك ولكنه بدأ الان يتكلم  
رسمياً باسم الحكومة الالمانية فعلمت ان فون كلان اتاه بتعليقات تشير عليه بالابتداء  
بالمفاوضة الرسمية بشأن عقد الصلح . وحينما كنت اجلس مع ونفنهايم لتبحث  
في مسألة عقد الصلح كان فون كلان يجلس معنا لا يفوه ببنت شفة فاقترح ونفنهايم  
ان يناير ١٩١٥ انسب الاوقات لانهاء الحرب . فما هو الدافع لذلك الاقتراح ؟

كانت ايطاليا لم تزل على الحياد انما كان يخشى جداً خوضها غمار الحرب في  
جانب دول الاتفاق

وكان كل من بلغاريا ورومانيا في نفس موقف ايطاليا  
اما انكلترا وفرنسا فكانتا تتأهبان للهجوم الكبير في اول الربيع المقبل وبقيت  
البوارج البريطانية تتجمع امام مدخل الدردنيل فاصبح الكل يعتقدون انها  
ستدك معاقلة وتهجم على الاستانة فتحتلها عنوة

وكان قد وهن عزم الاتراك من الحرب وضاق صدورهم من طولها فخاف الالمان  
ان يعقد الاتراك صلحاً منفرداً

كان الجو مظلماً في وجه المانيا ولذلك طلبت عقد الصلح ، على اني علمت انها اذا رأت ان الحالة تحسنت قليلاً طادت الى سياستها الحربية الاولى وكان أكبر حائل لعقد الصلح في ذلك الوقت نية المانيا على تقضيه حينما تجد تقضيه موافقاً لمصلحتها

كانت المانيا قد اخطأت في حسابها وحينما رأت ان ما عندها من الذخيرة والمئون سينفذ قريباً شرعت تبحث عن طريقة لعقد الصلح معتمدة ان تفك نفسها من قيده حين سنوح الفرصة

وحينما اراجع مذكراتي وما كتبته فيها من عبارات ونغنهايم ارى استعماله الكثير لهاتين العبارتين . في الحرب المقبلة — المرة القادمة لا تفعل كذا وكذا فطلب الالمان اذا لم يكن سهلاً حقيقياً ثابتاً ، بل شيئاً يشبه هدنة يتمكنون في اثنائها من استجماع قواهم الاقتصادية والتجارية . والمبدأ الذي اقترحه ونغنهايم لعقد الصلح هو ان يجتمع ساسة الدول المتحاربة وينهوا النزاع على مبدأ — خذ — هات . وأذكر بوضوح ما قاله لي مرة من انه لا يوافق مطلقاً على ان يعرض كل من الفريقين شروطه على الآخر قبل وقت الاجتماع لأنه اذا قررنا ان يقدم كل من الفريقين شروطه للآخر قبل عقد الهدنة فكل ما نبذله في سبيل عقد الصلح يذهب ادراج الرياح فالمانيا مثلاً تهبط شروطاً بحسبها الحلفاء فوق حد الاعتدال وهكذا تنظر المانيا الى شروط الحلفاء . فالأفضل ان نعقد هدنة اولاً ثم نتباحث في شروط الصلح واني أؤكد لك ان السلم اذ ذاك يصبح في حيز الامكان كتبت اذ ذاك الى واشنطنون باسطاً لديهم حقيقة الحال فرفضت حكومة الولايات المتحدة ان تتدخل في عقد صلح لا يلبث ان يحجب خبره حتى تنقض شروطه وهكذا اخفقت المانيا في هجومها السلمي الاول ، ، وانتهت المفاوضات بهذا الشأن في اول مارس حينما غادر فون كلمان الاستانة ليأخذ منصبه في البلجيك وفي آخر زيارة له للسفارة الاميركية كانت هذه العبارة كلمات وداعه — بإسمادة السفير سن عقد الصلح بعد ثلاثة اشهر حتماً نشتهي

## الفصل السادس عشر

### الهجوم على الدردنيل

ذكرت في المصل السابق ان تخوف الالمان من هجوم الانكليز على الدردنيل واحتلال الاستانة كان من العوامل التي دفعتهم للعمل على عقد صلح عاجل ثم تكاثرت الاشاعات في كانون الثاني سنة ١٩١٥ ان دول الاتفاق كانت قد هيات اسطولاً ضخماً مؤلفاً من اربعين مدرعة ينوي اختراق مضائق الدردنيل وافتتاحها عنوة وساد الاعتقاد بين سكان الاستانة ان ذلك الاسطول سينجح في مهمته

كان ونغنهايم يشارك العامة في اعتقادهم هذا وفون درغلتر باشا الذي قضى زمناً طويلاً في تركيا يدرب جيوشها وينظمها ويحصن معاقلها كان يعتقد ايضاً بإمكانية افتتاح الدردنيل وهاك ما كتبه في يوميتي عن اعتقاده بعد محادثة طويلة مع ونغنهايم بذلك الشأن

« يعتقد ان معاقل الدردنيل حصينة جداً ولكنه يعتقد ايضاً انه اذا رأت انكثرتا ان افتتاح الدردنيل يرجح كفة الحرب تتمكن بخسارة عشر بوارج ان تحترقه وتحمل الاستانة بعد ذلك حصونه بوقت يتراوح بين الثماني والعشر ساعات . هذا تمام ما نقله الي ونغنهايم عن اعتقاد فون درغلتر بقوة حصون الدردنيل وفي نفس ذلك النهار سألتني ان احفظ له في سفارتي عدداً من الاشياء النفيسة الثمينة التي كانت عنده فظهر لي من ذلك انه يهتئء نفسه لمغادرة الاستانة عند الاضطراب كانت حالة تركيا الحربية والاقتصادية والصحية مضطربة للغاية عندما اخذت هذه الاشاعات بالازدياد

كان جمال — القائد الذي نودي به « فاتح مصر » قد اخفق في حملته على قنال السويس وكسر جيشه شر كسرة :

وانور — الذي كان قد عقد النية ان يعيد ما خسره تركيا في القوقاس رجع وقد تسكل جيش الروس باكاليل الظفر بعد ان دحروا الاتراك وتوغلوا في اراضيهم . وفضلاً عن ذلك كانت امراض التيفوس والدوسطاريا وغبرها قد تفشت في الجيش العثماني حتى بلغ عدد الوفيات مبلغاً لا يصدق



وكان كثيرون يعتقدون ان انكلترا تعيء جيشاً جراراً لغزوة العراق كما انهم كانوا يعتقدون ان بلغاريا ستتنضم الى دول الاتفاق فتزحف بجيشها الباسل على العاصمة ، فتضطر رومانيا واليونان الى اقتفاء اثرها — وكانت ايطاليا حينئذ تساوم انكلترا وفرنسا على ثمن دخولها في الحرب حليفة لهما وقد اوشكوا ان يتفقوا

على ان حالة تركيا الداخلية كانت اشد خطراً واكثر شقاء من ذلك . في كل يوم كان يموت عدد كبير من الجوع والرض . وسبق الرجال والشبان الى الجيش فبقيت النساء والاولاد دون من يعولهم . وكانت الخزينة فارغة لان الحبحر الاقتصادي على الشواطيء العثمانية منع ماكانت تربحه الحكومة من المكوس والضرائب

تلك كانت الحالة — وبات الكل ينتظرون ثورة الشعب على طلعت وانور ورفاقهما

تلك كانت الحالة في تركيا حينما سمع الشعب والحكومة ان الاسطول البريطاني العظيم كان قد عزم على دك معاقل الدردنيل واحتلال العاصمة فوجدوا انفسهم كالطير قص جناحاه امام تلك القوة الهائلة التي طالما سمعوا بذكرها وطالما ردد التاريخ صدى انتصاراتها الباهرة

ولذلك حينما تحققت تلك الاشاعات وبدأ الاسطول البريطاني باطلاق قنابله على حصون الدردنيل في اول كانون الثاني سنة ١٩١٥ هياً مديراً بوليس العاصمة قطارين . الواحد ليقل السلطات وحاشيته واعضاء الحكومة الى آسيا الصغرى والاخر ليقل ونفهايم وبالا فيسيني واتباعهما الى خارج تركيا

وفي ٢ كانون الثاني جرى بيني وبين السفير النمساوي حديث طويل في هذا الصدد وأراني ايضاً جواز السفر مذلاً باسماء بدري لكي يتمكن السفير وحاشيته من مفادرة تركيا في القطار الخاص . وأراني ايضاً تذكرة القطار حاضرة لتستعمل عند ميس الحاجة . وقال لي ان كل قطار سيكون مؤلف من ثلاثة عربات فقط حتى يتمكن من الجري بسرعة فائقة واصبح الكل مستعدين لتلك الساعة المصيبة اما ونفهايم فلم يجرب ان يخفي مخاوفه . كان قد عزم على ارسال زوجته الى المانيا ولذلك دعا زوجتي لمرافقتها فتخلص من الاخطار المحدقة

عندئذ قال لي ونفهم انه لابد من ان تم الفوضى حين وصول الاسطول البريطاني وتبدأ المذابح والفظائع فتصبح اذ ذاك حياة الاجانب في خطر عظيم وبما انه لا يمكن تمييز الانكليزي عن الاميركي اقترح علي ان اجعل للاميركيين شارة خاصة تميزهم عن غيرهم

لكنني علمت ان ذلك الاقتراح كان يرمي الى الحصول على طريقة تفرق بين الانكليزي والاميركي فيسهل معرفة الاول وتمذييه واضطهاده ولذلك رفضت الاقتراح رفضاً باتاً

والحادثة التالية تظهر حقيقة الحالة التي كانت سائدة في الاستانة في ذلك الاوان لاحظت في احد الايام ان بعض النوافذ في السفارة الانكليزية كانت مفتوحة فذهبت مع مسز مورغنتو لاقطاعها فقبضنا الختم الذي كان على بابها ودخلنا فاقفلنا النوافذ ورجعنا . بعد ذلك بنحو ساعتين اتاني ونفهم وعلى وجهه اماًر الاضطراب وقال انه سمع اشاعة مآلها ان السفير الاميركي ذهب الى السفارة الانكليزية لكي يعدها للاميرال الانكليزي فاسرع لكي يتحقق الخبر . فابتسمت قليلاً واخبرته بمجلية الواقع جرى كل ذلك في الاستانة والاساطيل البريطانية لم تكن قد اطلقت قنبلة واحدة على حصون الدردنيل لأن الوزارة الانكليزية لم تكن قد قررت ان ترسل تلك الحملة البحرية بعد

والذي يطالع المفاوضات السياسية الرسمية يرى ان حكومة روسيا سألت وزارة البحرية في لندن ان تبعث اساطيلها الى الدردنيل لكي تخفف وطأة الاتراك في ساحة القوقاس . فاجابت الوزارة الانكليزية انها ستفعل ذلك لكنها لم تقرر الا في ٢٨ كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٩١٥

وسبب تأخر الحكومة الانكليزية في قرارها هذا هو عدم اجماع الآراء على امكانية نجاح ذلك العمل

امانحن في الاستانة فلم نعلم بكل هذه المفاوضات الملويلة بشأن الهجوم على الدردنيل ولكن ظهرت لنا النتيجة في اواخر شباط ( فبراير )

جاءني المركيز بالافسيني عصاري التاسع عشر من شهر شباط ومعه اخبار مهمة . كانت دول الاتفاق قد بدأت ثانية باطلاق القنابل على قلاع الدردنيل بشدة لم يعهد لها مثيل من قبل

في ذلك الوقت كانت الامبراطورية النمساوية في اخرج المواقف لان الجنود الروسين كانوا على وشك الهبوط الى سهول المجر من اطالي الكربات والجيش السربية كانت قد دحرت اعداءها على الحدود والصحف الاوروبية وخصوصاً المعادية منها — بدأت تبحث في انحلال الامبراطورية النمساوية وتقسيمها كان السفير النمساوي رقيق الشعور والمواطف ، يفتخر بامبراطوريته وامبراطورها الشيخ، ولذلك رأيت في عينيه معاني القلق والخوف من الخطر الذي يحف بعرش آل هابسبرغ

كانت دول اوربا الوسطى تعتقد ان دخول تركيا في الحرب حليفة لهم واقفال الدردنيل — طريق المواصلات بين روسيا وحلفائها — من العوامل العظيمة التأثير في مجرى الحرب

ولكن جاء عمل دول الاتفاق في الدردنيل منافياً لما يمتقده سياسة الدول الوسطى لأنه اذا احتلت اساطيل دول الاتفاق الاستانة تصبح روسيا صاحبة الحول والطول اذ تتمكن حليفتها من ان تمداها بالمال والذخائر ولم تكن حالة ونغنهايم الفكرية اهدأ من حالة رصيفه النمساوي لانه باحتلال دول الاتفاق الاستانة يكونون قد هدموا ما بناه من النجاح الشخصي في عالم السياسة الالمانية . على اني لم اره بألساً قانطاً بل كثيراً ما كان يجلس في مكنتي يقص علي ما ينوي فعله لرد كيد اعدائه في نجرهم

كانت السفارة الالمانية في محل معرض لمدافع البوارج الانكليزية ولذلك كان يعتمد ان سفارته الجميلة ستكون هدف القنابل البريطانية فيزداد خوفه وقلقه وهاك ما كان يقول :-

ليطلقوا قنابلهم عليها اذا تجاسروا على ذلك . اذا لا جعل سفارتي انكلترا وفرنسا رماداً مستطيراً او هباءً منثوراً . اخبر الاميرال ان لا يفعل ذلك لأن الديناميت حاضر

وهناك حامل آخر كان من اكبر البواعث على قلق ونغنهايم ورصيفه وذلك ان الحكومة التركية كانت قد عازمت ان تنقل الحكومة الى اسكي شهر ولم يود ونغنهايم ان يذهب مع رصيفه بجمعية الحكومة لانه علم انه لا بد للاتراك من ان ينقلبوا عليه بعد سقوط عاصمتهم فيأخذوه اسيراً ويذيقوه مرّ العذاب والشقاء

ولم يشأ ان يبتى في الاستانة ثلاثا يقع اسير حرب في يد الانكليز ، فبذل جهده ليقنع الحكومة التركية باقامة حكومة موقنة في ادرنه لئلا يرضوا ذلك لخوفهم من هجوم بلغاريا عليهم

ومن اغرب ما رأيت في تلك الايام العصبية ان الاعتقاد بنجاح الاسطول البريطاني في الدردنيل كان شاملاً كل رجال السياسة في الاستانة الا انور حدث انه في احد الاجتماعات الاسبوعية التي كانت تقيمها مسز مورغنتو اجتمع كثير من ممثلي الدول منهم وانغهايم وبالا فيني وجاروني (Garroni) السفير الايطالي ودانكار سناد السفير الاسوحي وكولوشف السفير البلغاري وفون كلان وغيرهم

وكان موضوع الحديث هل ينبغي الحلفاء باخترق الدردنيل؟ فاجع الكل على ان ذلك مرجح وشرع فون كلان يتكلم عن احتلال الاستانة كانه امر واقع وابدى السفير الالماني خوفه من احتراق سفارته لقربها من الباب العالي فسألني ان احفظ له اوراقه المهمة

وازدادت الاشاعات الكاذبة عن وصول الانكليز لأن اكثريه الشعب كانت تصلي وتضرع الى الله لكي يجبر الحلفاء بنجاح اكيد وفوز سريع ليتخلصوا من عذاباتهم وشقايتهم

اما طلعت فخرجت بحرج موقنة فتجلى خوفه وحزعه في وجهه فكنت تراه دائماً طابساً مقطباً . علم انه بدخول الانكليز الدردنيل واحتلالهم الاستانة ينتهي صمل طلعت اذ لا بد من حدوث ثورة طامة ضده وضد الاتحاديين ويحسن بي في هذا الصدد ان اذكر شيئاً عن الخطة السياسية التي اتبعها كمتشر نفعاً لها الكثيرون من المتقدين

لم يتأ الاورد كمتشر ان يتبع الحملة البحرية بماله ربة لأنه كان متسكلاً بالانكال على حدوث ثورة في داخل البلاد عند دخول الاسطول انكلترا ببحر مرمر . والآن اهد ان رأي كمتشر كان رأياً صائباً لأنه لو تمكن الاسطول البريطاني من الدخول الى بحر مرمره لكان ذلك آخر عهدا بمحكومة تركيا الفناء . اني كنت في تركيا في ذلك الوقت ، واعلم الحقيقة المجردة

لكن هنالك شخص واحد لم تؤثر فيه اعتقادات القواد والضباط ولا اراجيف المعارضين وانشاءاتهم . فلم يهبط ولم يمزج بل ابدى شجاعة يمدح عابها ورباطة جأش سيدكرهاله التاريخ . وذلك انشخص هو انور بطل الدستور ، و اواخر كانون الاول واولائل كانون الثاني حينما جاءه الاخبار لأول مرة ان اسطول الحلفاء اخذ اطلاق قذابه على معقل الاردنيل كان انور يحارب الروس في القوقاس

تلك الاسنائة وفي عزمه ان يخرج جيش الروس ويسترجع الولايات العثمانية والكنة عاد اليها في اواخر سنة ١٩١٥ بعد ان تثبت جيشه شذر مذر

رجع من القوقاس ماعراً عاجله الانكسار على اسمه من الداء والهو ان فلم يظهر كثيراً في الاماكن العامة لانه لم يكن قد تبنت كيف يستقبله الشعب . رأته اول مرة في حفلة خصوصية جالسا في مركزه المعين وعند انتهاء الحفلة دعاه ولي العهد مع باقي اعضاء الحكومة حسب عادته فظن ذلك اعترافاً باخلاصه في الخدمة ولولم يمكن من الجراح . فكان ذلك مشجعاً تويلاً له اعاد اليه حاسته الاولى فبدأ بعمل بكل مألديه من القوى على تخفيف وطأة الازمة المشتدة حينئذ

اجتمعت به بعد ذلك بقبيل واخذنا نتباحث في الاحوال الحاضرة فظهر لي شدة دهشته لما يبديه الجميع من الخوف والتناق وقال انه آسف لما هيأته ادارة البوايس من المعدات لنقل الساطان والسفراء واتباعهم لأنه كان يعتقد تمام الاعتقاد ان اسطول دول الاتفاق لن يتمكن من اختراق المضائق لانه فتش الاحيون بنفسه فرحدها مسعدة لتدراً الخطر المنتظر واصر على الدفاع عن الاسنائة مهما تطورت الاحوال . ولكن اعتاد انور لم يكن كافياً لاقناع رفاقه . قد قال له بدري بعدئذ انه حينما كان انور في القوقاس واشتدت وطأة

الحذاء على حصون الدردنيل طالب ملئت عتد مؤمر حربي حضره ليمان فون سيدرس والامبال يوزدم Tschirmer الالماني وبروانار رئيس اركان الحرب . فقرر الجميع امكانية اختراق الدردنيل واحتلال العاصمة اما موقف انور فكان ملاماً لديهم ولذلك عزموا ان لا يمتأوا بقوله

في اول آذار (مارس) جاءني بدري يصحبه مدير الامن العام . كان الشعب حينئذ قد بدأ باخلاء العاصمة ومسيرت اواصر الحكومة الى المصارف الكبرى لنقل

موالها الى آسيا الصغرى وارسلت اوراق الحكومة المهمة الى اسكسهر وكل  
الباقيين من اعضاء الحكومة والسفراء وممثلي الدول كانوا على اهبة السفر  
جاءني بدري اذ ذاك ليتفق معي على مسألة سفري مع السلطان لأنني كنت  
موفد من قبل حكومة الولايات المتحدة الى جلالة

فرفضت ترك الاستانة رفضاً باتاً واخبرته ان المسؤولية الملقاة على عاتقي  
تقتضي بقائي فيها

قلت لا يتمكن احد من منع المذابح والتمطاع في الاستانة الا سفير دولة  
لا تزال على الحياد وان واجباتي نحو الانسانية تدفعني الى ذلك . فاذا كان مركزي  
كسفير يقتضي اللحاق بالسلطان اينما توجه فانا استقيل من مركزي وابقى هنا  
كقنصل شرف

عند ذلك اقترحت عليه ان تؤلف لجنة تأخذ على عاتقها تدبير الشؤون في  
الازمة الحاضرة فقبل وللحال جلسنا لنقرر مايجب اتخاذه

فاخذنا خارطة الاستانة وخططنا المحلات التي يجوز للاسطول البريطاني  
ان يطلق عليها القنابل حسب قانون الدول ، ثم خططنا الاماكن التي يجب ان  
تبقى خارج منطقة الخطر . وابتدت حالاً الى واشنطون طالباً من نظارة الخارجية  
ان تحصل على قبول اميرال الاسطول المهاجم بمحكمة هذا فأتاني جواب برقي  
بالقبول وهكذا اتتمت كل البأهيات ووقف القطاران على المحطة ، والسلطان ،  
وحاشيته والسفراء واتباعهم مستعدون للمسير وبات الكل ينتظرون وصول اسطول  
الحلفاء

## الفصل السابع عشر

### معاقل الدردنيل

كان اوركا ذكرت لا يزال يعتقد ان اسطول الحلفاء لا يتمكن من اختراق  
المضائق بناء على ماشاهده في زيارته الاخيرة من منعة الحصون والمعاقل ولذلك  
سألني ان ازور معاقل الدردنيل فاشاهد منعتها واساعده على تدمير الخطوف الذي ساور  
افراد الحكومة والشعب فقبلت دعوته رغماً عن المخاطر العديدة التي تحف بالذهاب  
الى مناطق الحرب



انور باشا





تركنا الاستانة صباح ١٥ اذار (مارس) سنة ١٩١٥ على سفينة تدعى «يورك» ورافقنا انور حتى وصلنا الى باندرما ومنها قفل راجعاً الى الاستانة بين الذين كانوا معنا على الباخرة كان ابراهيم بك ناظر العدلية وحسن باشا قائد الجيش الذي اسقط عبد الحميد والشريف جعفر باشا العربي وفؤاد باشا رجل طاعن في السن شاهد احوالاً عديدة ولكن بقي قادراً على الانصراف الى اللهو والمجون . كل هؤلاء الرجال كانوا اكبر من انور سنّاً واکرم محتداً ولكنهم كانوا ينظرون اليه بعين الاحترام والاجلال

ونما وصلت بنا السفينة الى بحر مرمره الهادى — ولم يكن قد تركنا انور بعد — تمشيت واياہ على دكة السفينة نتأمل سكون ذلك البحر الذي طالما مخرت فيه السفن التجارية نتساءل عن اعمال الاسطول البريطانى وهل يكون النجاح حليفه ام لا . وكان انور يبدي دهشته للاعتقاد الراسخ في عقول اعضاء الحكومة والسفراء . وادف عبارته بهذه الجملة

— حتى ولو جردت كل من بلغاريا واليونان جيوشهما علينا لدافعنا عن الاستانة الى آخر رفق

عندنا عدد كبير من المدافع مقدار كبيرة من الذخيرة الحربية والقنابل . وهذه المدافع مرتكزة على الارض الثابتة بينما مدافع الانكليز مركزة على مدرطهم التي تتلاعب بها الامواج الهوجاء فلا تتمكن من اصابة الهدف

انا لا يهمني ما يعتقده الغير . لقد درست مسألة الدردنيل درأً دقيقاً وعلمت انه يمكننا ان نقاومهم . ومارلت ناظر حربية تركيا ووكيل قائد جيوشها العام لاسلم اني اتعجب جداً حينما اتأمل بعمل اسطول انكلترا العظيم وتأخذني الدهشة والحيرة . لنسلم معهم جدلاً ولنفرض انهم دكوا معاقل الدردنيل فاذا يفعلون بعد ذلك ؟ نعم يطلقون قنابلهم على الاستانة فيدمروها ولكنهم لا يتمكنون من احتلالها لانه لا يوجد لديهم جيش احتلال ينزل الى البر فيدير الشؤون فيها . فاذا لم يرققوا اساطيلهم هذه بجيش بري يقعون في الشرك . قد يتمكنوا من ان يقيموا اسبوع او اسبوعين ولكن حينما تنفذ مؤونتهم يضطرون الى الرجوع من حيث اتوا وقبل عودتهم نكون قد حصنا الدردنيل فنقاومهم ثانية ونعظمهم وابلاً من القنابل والقذائف فيندحرون

ذكرت سابقاً ان نابوليون كل بطل انور في الحياة . ومثاله الذي ينسج عليه في كل اعماله . كنا نتمشى على الدكة وقد تغلب عليه شعور العظمة فوقف قليلاً ونظر اليّ وقال بسكون تام :

— سيخلدني التاريخ رجلاً اظهر للعالم انه يمكن قهر اسطول بريطانيا العظيم — زدت انكلترا قبل الحرب بنحو سنتين وتباحثت مع زعماء الحكومة الانكليزية على خطتهم السياسية واظهرت لهم خطأهم بالاعتماد السكلي على اسطولهم . قال لي ونستن تشرشل اذ ذاك « ان اسطولنا قادر ان يدرأ عنا كل الاخطار » ورأي تشرشل هذا كان شاملاً كل الدوائر والاندية السياسية هناك

ها قد ارسل تشرشل اسطوله — لئلا ما يكون من امره . انا اعتقد ان انكلترا لم ترسل اسطولها لمساعدة روسيا بل ارسله ونستن تشرشل تنفيذاً لوعده لي . كان انور يكلمني ودلائل العزم بادية في كل كلمة ينطق بها ثم اخبرني ان الجنود اصلحت كل ما دمرته القنابل الانكليزية في البصود الخارجية

وكان في اثناء كلامه يظهر شدة بغضه للانكليز على انه لم يظهر دلائل مودة نحو الالمان لانهم اهانوه بعدم احترامهم رأيه في مسألة الدردنيل . قال — « ان الاتراك لا يعبأون بالالمان . ولا الالمان بالأتراك . نعم نحارب معهم لان مصلحتنا تقضي بذلك وهم يحاربون معنا لان مصلحتهم تقضي بذلك . ان المانيا ستساعد تركيا ما زالت تركيا تنفعها ، وتركيا ستساعد المانيا ما زالت المانيا تنفعها » .

وصلنا الى باندرما الساعة الثانية بعد الظهر فنزل انور الى البرواقعت بنا السفينة الى غليبولي . رست الباخرة في مرفأ غليبولي وقتئذنا الليل على الدكة لان الطقس كان جميلاً للغاية وفي اثناء بقائنا هناك كنا نسمع اصوات مدافع البوارج وهي تطلق قنابلها على القلاع المنيعة ولكن لم تكن تلك الاصوات لتقلق اصلاً قاتي الاتراك فكانهم كانوا جلوساً في وليمة وخرقة

ثم مضنا في الصباح وسارت بنا السفينة نحو جناق قاعة حيث الدردنيل على اذنيّة فوجدنا عدداً من القواد والضباط الالمان والجنود الاتراك يحملون تلك الحصون ويعطرون تلك البوارج المعادية بقنابلهم المهلكة استقبلنا جواد باشا قائد جيوش الدردنيل العام وسار بنا الى مكتبة الخاص

كان جواد باشا رجلاً راقياً في افكاره وطاقاته واخلاقه وكان القواد والضباط الالمان يحلونهُ ويحترمونه ويأتمرون بأمره لسعة اختباره ودمائه اخلاقه  
وبينما نحن سائرون وقفنا امام قطعة من بقايا الطوربيد الذي اطلقتهُ الفواصة  
الانكليزية على المدرعة التركية مسمودية فدمرتها وارسلتها الى اعماق البحر  
نظر اليها جواد وقال — هذا هو الجاني العظيم الذي اغرق مسمودية

كانت قلعة افاضولو حميدية اول قلعة شاهدها . واول ما طرأ على فكري حينما  
شاهدها هو اننا في قلعة للمانية لان الضباط والجنود والخدم كانوا كلهم للامان  
اخذني الكولونل ورل (Wheale) الى البطريات المختلفة واظهر وهو يريني  
ايها رغبة شديدة في عمله «لانه كان قد تم من المناورات الحربية واشتاق الى  
الحرب الحقيقية .» وما كان أشد فرحه عندما رأى نفسه امام عدوانكليزي وفي  
وسمه ان يطلق عليه قنبلة حقيقية !

اما مركز قلعة افاضولو حميدية فجميل للغاية . منها يقدر الضابط ان يرى امامه  
مدخل الدردنيل حيث تقف المدرعات حينما بدأت تطلق القنابل على المعقل والحصون  
ورافقني جواد باشا والكولونل ورل الى اهم معقل الدردنيل — افاضولو  
حميدية المذكورة آنفاً ودار دانوس وارين كوى فوجدت انها حصون ذات مراكز  
طبيعية جميلة تساعد المدافع على الحاق ضرر عظيم بالمهاجم — تحتوي الاولى على  
عشرة مدافع من طراز كروب القديم ويدير شؤونها ضباط الالمان اكثرهم من  
ضباط البارجتين غوين وبرسلو . وفي الثانية مدافع اكبر واحداث وابعدمرى  
وكلها من صنع كروب والقائمون بمهام هذه القلعة اراك . بينهم شاب يدعى  
حسن اطرام جواد باشا اطراء عظيماً وامتدح شجاعته وبسالته وقال ان المستقبل  
يخفى له مجداً بامراً اذا استمر على احتماده - وسكن لسوء الحظ لاني حسن حنقه  
بمد ذلك بأيام ذائلة

والقلعة الثالثة ارين كوى — رأيت فيها عجائب الابداع الفني الذي فاق الالمان  
به جميع الامم . لم يكن في بطرياتها مدافع كافية لتلأ المحال الفارغة . فاذا كانوا  
يملكون ليدافعوا عنها

كانوا يضمون المدفع في محل يرى من البواريج وعند ما يتأكدون ان المدافع

صوبت نحوه كانوا يساعدون ثيران قوية ينقلونه الى محل لا يرى فتطلق البوارج قذائفها ولكن اين الهدف ؟

واظرف من ذلك رفعهم في محل ظاهر قطعة خشب مخروطة على شكل المدفع ومدھونة دهاناً يشبه الوان المدافع وبالقرب منها في محل لا يظهر للعيان مدفع حقيقي . فيطلق المدفع الحقيقي المحتفي قنبلة والرجل الواقف عند المدفع الكاذب يحرق كمية من البارود فيتصاعد الدخان في الفضاء فيظن مدفعيو البوارج ان ذلك هو المدفع الذي يطرهم بقنابله ويشويهم بناره فيصوبون اليه مدافعهم دون المدفع الحقيقي

ولكن رغباً عما رأيت في هذه القلاع من حسن الموقع الطبيعي ومهارة الضباط واستعداد الكل لبذل النفس والنفيس في سبيل احراز النصر عرفت من الضباط الذين هناك ان المدافع كانت قصيرة المرمى بالنسبة الى مدافع البوارج الضخمة والذخائر عندهم كانت قليلة جداً فلا يتمكنون من الوقوف طويلاً في وجه هجوم بحري عظيم ورجعنا بعد ذلك الى مكتب جواد باشا فتناولنا طعام الغداء وفي الساعة الثانية صعدت واياه الى المرقب فشاهدنا امامنا بحر ايجيه ومدخل الدردنيل وقلعتي سد البحر وقوم قلعه . واذا به قد اخذ المنظار بيده وقال — اني اري بارجه تتقدم نحونا . اتريد ان اطلق عليها قنبلة واحدة ؟

— نعم اذا كنت تعدني انك لا تصيبها

ثم رجعنا الى المكتب حيث اجتمعنا بالاميرال يوزدم الالمانى والجنرال مرتنز والملحق العسكري النمساوي فاطهر الجميع ثقتهم بمنعة حصون الدردنيل وانه لا بد لهم من ارجاع الاعداء خاسرين وقد علمت بعدئذ ان ثقتهم لم تكن وطيدة بل تظاهروا بذلك امامي

ولما انتهيت من زيارة القسم الاسيوي من حصون الدردنيل ذهبت في سفينة صغيرة الى غليبولى وكدنا نذهب ضحية الالغام لولا انتباه بعض الرفاق الذين كانوا يعرفون مواضعها

اما القلاع على الجانب الاوربي من الدردنيل فكانت تشبه تماماً القلاع التي وصفتها من حيث طراز مدافعها ومقدار ما فيها من المتون والذخائر

## الفصل الثامن عشر

تراجع الاسطول البريطاني والنصر اقرب من حبل الوريد

رجعت الى الاستانة مساء السادس عشر من اذار (مارس) وبعد ذلك بيومين هجم اسطول الحلفاء هجومه العظيم فاسفرت المعركة عن غرق ثلاث من السفن المهاجمة وتمطيل سبع اخرى فهلل الاتراك وكبروا لهذا النصر العظيم وصدرت الاوامر في جميع انحاء المملكة بوجوب اقامة الاحتفالات لهذا الفوز المبين على ان الرجال المفكرين من الاتراك والالمان لم يحسبوا ذلك فوزاً نهائياً لأنهم كانوا ينتظرون هجوم الاسطول ثانية في صباح اليوم التالي والظاهر ان انكلترا لم تشأ ان تضحي بأكثر مما ضحت به في سبيل افتتاح الدردنيل فلم تعد الكرة على القلاع التي كانت قد اصبحت في حالة يرثى لها من الضعف لقلة الذخيرة والمؤن

وبعد رجوعي من الاستانة الى الولايات المتحدة كثيراً ما سألتني اصدقائي السؤال الآتي : —

لو اعاد اسطول الحلفاء الكرة صباح اليوم الثاني انظن انه كان يتسنى لهم ان يخرقوا الدردنيل ويحتلوا الاستانة ؟

هذا سؤال لا اقدر ان اجيب عليه لقلة معرفتي الفنية في اساليب الدفاع والهجوم . ولكن ذكرت سابقاً آراء كل الرجال الفنيين الذين اجمعوا — عدا انور — انه بوسع انكلترا ان تفتح الدردنيل اذا شاءت ان تضحي بالعدد الكافي من بوارجها

وليفهم القارئ ان ما سنذكره فيما يلي ليس من آرائ الشخصية بل هي خلاصة آراء القواد الالمان والاتراك الذين كان لهم علاقة بالدفاع

لما دار الحديث بيني وبين انور على دكة اليوروك قال لي انور اذ ذاك — عندنا عدد كبير من المدافع ومقدار عظيم من المؤن والذخائر الحربية

ولكن نظرة واحدة الى حقيقة الواقع تدلنا على ان ذلك لم يكن ممكناً لان تركيا كانت مفصولة عن حلفائها والقطار الذي يسير من برلين الى الاستانة

لم يتمكن من نقل مواد حربية لانه يمر في ارض سربيا وبلغاريا ورومانيا وكل من هذه الممالك لم تكن قد صارت تحت سيطرة الالمان حينئذ فلنفرض الآن ان الاسطول اعاد الكرة صباح التاسع عشر من اذار (مارس) فاهي النتيجة ياترى ؟

لا مشاحة ان البطريات في معاقل الدردنيل كانت في اشد الحاجة الى القنابل لانهم كانوا قد استعملوا تقريباً كل ما لديهم منها في اليوم السابق كنت في ذلك الوقت قد استأذنت لاحد مراسلي الصحف الاميركية ان يزور ساحة الحرب في الدردنيل . فذهب اليها وفي مساء الثامن عشر اي بعد انتهاء الهجوم الكبير دار بينه وبين الجنرال مرتز الحديث التالي . — قال الجنرال — نحن ننتظر هجوم الاسطول ثانية غداً وان فعل ذلك فلا تتمكن من ان تقاوم أكثر من ساعات معدودة

وعلم ذلك المراسل من مصدر آخر انه لم يبق في قلعة اناضولو حميدية بعد المعركة الكبرى الا سبع عشرة قنبلة وقلعة كيليد البحر على الشاطئ الاوروبي لم يكن فيها سوى عشر قنابل فقط . قال الجنرال ايضاً — انصح لك يا حضرة المراسل ان تنهض باكراً وتذهب الى التلال البعيدة لاتنا سنفعل كذلك ايضاً

في صباح التاسع عشر صدرت الاوامر للمدفعيين ان يحاربوا حتى آخر قنبلة لديهم ثم يتركوا المدافع والقلاع ويطلق كل ساقيه للريح فاذا تم للاسطول الفوز في القلاع الخارجية القوية تهون المصاعب التي تقوم في وجهه فلا يبقى لديه الا القلاع الداخلية الضعيفة والالغام المنتشرة في المضيق والطراد غوبن الذي لا يمكنه ان يقف في وجه الاسطول البريطاني وبين بوارجه كوبن اليزابث

وكان انور يعتقد انه لو تمكن اسطول انكلترا من اختراق الدردنيل واحتلال الاستانة لا يلبث ان يضطر الى اخلاء المدينة اذ لم يرققوا الحملة البحرية بمجيش بري كبير ولكن انا اعتقد انه لو رجع الاسطول البريطاني وتمكن من الوصول الى الاستانة لم له ما يريد لأن الحالة السياسية في البلاد كانت مضطربة جداً وموقف حكومة الاتحاديين كان حرجاً للغاية

كان جبال قد الف حكومة شبه مستقلة في سوريا وحاكم ولاية ازمير كان يعمل كل ما يراه موافقاً غير معتبر الاوامر الصادرة من الاستانة والحج عادل احد شجعان الاتراك كان مقرباً في ادرنه يدس الدسائس لتأسيس حكومة آمنوله وتآتمر بأمره ، وبلاد العرب كان قد اعلنت استقلالها تحت سلطة الشريف حسين وسكان العاصمة كانوا يضرعون الى الاله لكي يحبو المهاجرين بنصر مريع فهم طلعت الحالة تماماً قاعدة كل شيء لكي يلوذ بالقرار ديلما يدمه الخطر لكن اسطول الحلفاء لم يرجع !

بعد ذلك بأسبوع تقريباً اتيت الى السفارة الالمانية فالتقيت هناك بفون درغلنز باشا «مدرّب الجيوش» الذي كان حاكماً في البلجيك جاء هذا الرجل المعروف الى الاستانة ليهدي جلالة السلطان وساماً من القيصر اعترافاً بما احرزته جنوده من النصر في الدردنيل جلسنا نحن الثلاثة ونفهايم وفون درغلنز وانا في قاعة السفارة نبحث في الحالة الحاضرة ، وما كانت اشد احجاب السفير والقائد لما كانت تنشره الحكومة البريطانية عن حقيقة خسائرها في معارك الدردنيل

فقلت لهم ان اتباع تلك الخطة خير من غيرها ونحن الاميركيين تفضلها ايضاً فلم يقتنعوا من ذلك بل قالوا ان هنالك سبباً خفياً يدفع انكلترا الى عملها ذاك وبعد وقت قصير اقر رأيهما على ان المذهب الدافع انكلترا الى ذلك هو — رغبتها في ان تظهر للحكومة الروسية انها بذلت وسعها في سبيل مساعدتها — وهي في الحقيقة لا تريد ان تعد اليها يد المساعدة المخلصة

وظهرت نتيجة انكسار الحلفاء في الدردنيل في اواخر ١٩١٥ واول ١٩١٦ حينما صمدت بلغاريا قوتها الى قوى الدول المركزية واجتاحت الجنود الالمانية بمساعدة بلغاريا اراضي سربيا وتمكنت المانيا من انحد حليفها تركيا بالمال والرجال والذخائر وهكذا أصبحت معاقل الدردنيل بعد ذلك من اعظم معاقل الارض منعة وقوة وانا اعتقد ان كل اساطيل الارض لا تتمكن الاكن من افتتاحها عنوة

## الفصل التاسع عشر

### الحكومة والاجانب

في الثاني من شهر ايار (مايو) سنة ١٩١٥ ارسل اليّ انور رسالة سألني ان ابعث بها الى حكومتي انكلترا وفرنسا

قبل ذلك بنحو اسبوع كان الحلفاء قد ارسلوا حملة برّية الى الدردنيل وانزلوها في شبه جزيرة غليبولي لانهم تحققوا اخيراً ان لا فائدة من حملة بحرية مجردة وكانت اكثرية ذلك الجيش من سكان اوستراليا وزيلاندا الجديدة

اخبرني انور ان بوارج الحلفاء كانت قد تناست كل ما سنّته قوانين الدول. واخذوا بتصويب قنابلهم الى المدن والقرى غير المحصنة فقتلوا بذلك كثيرين من الرعايا المسلمين

ولذلك سألني انور ان اطلب الى حكومتي انكلترا وفرنسا ان تصدروا الاوامر الى اميرال الاسطول لكي يضم حداً لعمل فظيع كهذا . وقال انه قد عزم ان يجمع كل الرعايا الاجانب ويرسلهم الى ساحة الدردنيل ويفرقهم بين القرى المسلمة . فاذا استمرت البوارج على اطلاق قنابلها على تلك القرى تكون قد عرضت اهلها وابناء وطنها للهلكة . وكان في ذلك الوقت في الاستانة نحو ٣٠٠٠ اجنبي واكثرهم كانوا قد ولدوا في تركيا ونشأوا فيها فتملأوا طادات الانراك وادابهم

بحشت عن مبالغ الصحة في تلك الاخبار التي بنى انور عزمه الاكيد عليها فوجدت ان الحلفاء لم يطلقوا قنابلهم على القرى المأهولة بل صوبوها نحو غليبولي التي كانت مركز قيادة جيش الدردنيل ولذلك لم يكن اسطول الحلفاء مخالفاً للقوانين الدولية ولا للشرائع الانسانية للتعارفة

اما الاشاعات التي قالت انه قتل عدد كبير من سكان تلك النواحي فكانت مبالغ فيها لانه لم يقتل الا عدد قليل جداً بواسطة بعض القنابل التابعة

بحشت عن هذه المسألة وعزم انور على نقل الاجانب الى ساحة الوغى واخيراً قرّ الرأي بعد استشارة ذوي الآراء الراجحة ان ارفع اعتراضاً قوي اللهجة على ذلك العمل وللحال ركبت السيارة وذهبت الى الباب العالي



كان مجلس النظار مجتمعاً فخرج انور للملاقاة ولما اخذ يتكلم عن هجوم الانكليز رأيت الغضب يبدوا في كل كلمة يفوه بها . قال . — آه من هؤلاء الانكليز الجبناء . جربوا ان يخترقوا الدردنيل فباؤا بالذل والخسران . وهام يثأرون لانفسهم . ان قنابلهم تدمر قرانا ومستشفياتنا وتهلك اخواتنا واهلينا وانكى من ذلك انهم يقفون حيث لا تطالهم قنابل مدافعنا القصيرة المرمى . ليس لنا اسطول لا يقابلهم ولذلك قد عزمنا على نقل كل الرايا الانكليز والفرنسيين الى غليبولي فيقتلونهم اذا شاؤا ان يقتلوا رجالنا

فاجبته انه يحق له ان يفعل ذلك اذا كان الحلفاء قد فعلوا ذلك حقيقة وأظهرت له ان الاشاعات التي وردت عليه كان فيها لغراق ومبالغة — ولكنه لم يشأ ان يفهم ذلك بل اصر على عزمه فقلت له

— ان ما عزمتم على اتيانه عمل وحشي مهجي لانه يحق لاسطول الحلفاء ان يطلق قنابله على مركز عسكري كغليبولي

لكنه لم يلبس ولم يتأثر فعلت ان ما عزم ان يفعله لم يكن مبنياً على براهين واضحة واسباب ظاهرة بل على ما او حته اليه عواطفه حينما شعر انه بوسع الجيش الانكليزي ان يجتاح شبه جزيرة غليبولي وان يحتل الاستانة . وبعد اجتماع طويل تمكنت ان احصل منه على الوعود الآتية

— (١) تأجيل نقل الاجانب ليوم الخميس — كان ذلك يوم الاحد —

— (٢) استثناء كل الاولاد والنساء

— (٣) لا ينقل اي انكليزي او فرنسي اذا كان يعمل في المعاهد الاميركية . وهذه كانت عبارته الاخيرة : —

— يجب على كل الباقي ان يذهبوا . وسنضع عدداً من الاجانب على كل نقالة تركية حتى تضطر غواصات العدو ان لا تدمرها

وحينما رجعت الى السفارة وجدت ان تلك الاخبار كانت قد انتشرت فحدث قلقاً عظيماً بين كل الذين لهم علاقة بذلك . فاحتشدت الجماهير في قاعة السفارة الاميركية يطلبون الي ان ابذل وسعي في سبيل مساعدتهم وراء غيرهم ان استأذن لهم الأعذار خصوصية واقترح غيرهم اقتراحات عديدة ولكن أكثرها لم يكن عملياً فتركت ذلك حتى أرى كيف تتطور المسألة في ادمغة أولى السلطة والامر

وفي اليوم الثاني اخذ بدري بك بتوقيف كل الرجال الانكليز والفرنسيين وكان بين الذي بحثت معهم في سبيل حل تلك المعضلة من — اقترح عليّ ان اطلب مساعدة سفيري المانيا والنمسا لعلهم يمدون يد المساعدة كنت قد طلبت مساعدة ونفهايم في مسائل عديدة لكنه لم يجبني الى طلبي ولكن قلت يحسن بي ان اعطيه فرصة لاتمام عمل يذكر فيشكر فذهبت اليه في الساعة العاشرة من ذلك المساء وطلبت اليه ان يساعدني مظهرآ له ان يصعب على العالم ان يفهم ان ليس لليد الالمانية دخلاً في ذلك العمل القظيع الا اذ ارفع السفير الالماني احتجاجاً عليه . ولكنه رفض ذلك رفضاً باتاً . بقيت معه نحو ساعة ونصف ساعة وكلما جربت ان اعود الى البحث في مسألة الرعايا الانكليز والفرنسيين وتقلهم الى غليبولي كان يغير سياق الحديث . وهاك قسماً من حديثنا

— كنت اقول

— ان عمل الاتراك يسمى سمعة المانيا

فيجب

— الاتعلم ان الجنود الانكليزية في صحراء سيناء بقيت مدة طويلة بدون طعام وماء فهجموا أخيراً على العربان ليحصلوا على مايسدون به ومقهم وقبل ان يتم عبارته كنت اقاطعه قائلاً — ولكن مسألة غليبولي — ان الالماني في العاصمة يقولون ان ذلك مضر بهم

فيجب . ان الحلفاء قد انزلوا في غليبولي ٤٥٠٠٠ جندي قتل منهم حتى الآن نحو ١٠٠٠٠ وعن قريب سنطرد الباقين . وبقية الحديث على هذا المنوال فشلت في احراز مساعدته . ولذلك عزم ان اذهب الى رصيفه بالافيسيني لانه كان ارق قلباً واسمى عواطف وشعوراً

جئت الى بالافيسيني واطلعت على حقيقة الحال فتأثر جداً لذلك العمل الهمجي ووعدني ان يكلم الصدر الاعظم بذلك الشأن ، لكن علمت ان ذلك لا يجدي نفعاً لان سلطة الصدر الاعظم كانت اسمية فقط . فسألته ان يبذل جهده ليقنع انور وطلعت حكام تركيا الحقيقيين فرفض ذلك لانه لم يكن له علاقة الا مع وكيل

السلطان الذي كان موفداً اليه . وفعلًا تباحث مع سعيد حليم باشا بذلك الشأن ولكن ذهبت اتعابه ادراج الرياح

اما ولنهيائهم فلم يشأ ان يرفض طلبي بتاتاً فذهب الى سعيد حليم باشا وطلب اليه ان يبذل جهده في مساعدة السفير الاميركي . دلي ان عمله ذلك لم يكن الا من قبيل التظاهر بالمساعدة لأنه لو اراد ان يساعدني حقيقة لتمكن من اقناع انور وطلعت على تغيير خطتهم

وكان في الاستانة رجل خطير ذو تأثير كبير في الاندية السياسية وهو كولوشف Kolocheff سفير بلغاريا . فلما علم مسيو كولوشف بمسألة نقل الرطاي الانكليز والفرنسويين الى غاليبولي اتى المو عرض دلي مساعدته فاتفقنا ان يذهب الى انور ويرفع احتجاجه اليه

في تلك الاثناء كان بدري قد ارسل رجاله واعوانه لالقاء القبض عليهم كل الرجال الانكليز والفرنسويين وعين موعد سفر القطار صباح الخميس وافي نهار الاربعاء واذا بكل الاجانب من نساء واولاد ورجال قد ملأوا سفارتي . شعرت اذ ذلك بمخرج الموقف وكنت قد بذلت جهدي فلم انجح لكن عذمت على ان اجرب ثانية لملي افلح . فاخذت التليفون ودعوت انور طالباً منه ان يعين وقتاً لمقابلته . فاجاب انه يفضل ان يراني نهار الخميس — ولكن ماتع ذلك والقطار يكون قد سافر حاملاً ضحايا الظلم والاستبداد — فأجبت — يجب ان اراك اليوم

جرب ان يعتذر بأنه مشغول قائلاً اظن انك تريد مقابلي لتبحث معي في شأن الانكليز والفرنسويين ولكن ذلك لايجدي بك نعماً فلهذا عزمنا عزماً نهائياً . لقد صدرت الاوامر والقطار يجب ان يسافر غداً

ولكن اصررت على مقابلته في ذلك اليوم . فجرب ان يعتذر ثانية بأنه مشغول لأن اعضاء الوزارة كانوا ازمين ان يجتمعوا اجتماعاً مهما لا يقدر ان يتخلف عن حضوره ولكن نظرت الى حولي فوجدت نساء تبكي واولاداً تصرخ وشيوخاً كاسفي البال مطأطأي الرؤوس فشعرت بقوة داخلية تدفعني الى المثابرة وطراً على خاطري فكر فأخذت التليفون ثانية وقلت

اذا كنت لا تقدر ان تقابلني فسأجيء الي حيث يجتمع الوزراء فاباحثهم كوزارة

في هذا الموضوع. اظن ان الوزارة التركية تحاول ان ترفض مقابلة السفير الاميركي؛ فشعرت بتأثير هذا الاقتراح في أنور واذا به يجيب — تعال الى الباب العالي في الساعة ٣: ٣٠ بعد الظهر فتقابل هناك

وصلت الى المحل المعين في الوقت المعين فقبل لي ان السفير البلغاري كان مجتمعاً بأنور. فانتظرت في القاعة لاني علمت موضوع البحث وبعد قليل خرج مسيو كولوشف فقرأت في اساريره آي الفصل والخبية فقال

— لارجاء منهم لقد عزموا نهائياً على اتمام ذلك العمل الفظيع دخلت اذ ذاك الى القاعة حيث كان أنور وبدأنا نبحث في مسألة أولئك الاجانب للمساكين ولكنه قال لي قبل ان نبدأ في الكلام أن لا تقع من المشاحنة الطويلة لأن عزمهم ثابت لا بد من تنفيذه. فأصررت على المقاومة وأظهرت ما يكون لذلك العمل من التأثير في العالم للمتمدن وخصوصاً في الاندية الاميركية بعد كل ما أتوه من حسن المعاملة نحو الاجانب. لكنه اصرر على ان عمارة الحلفاء البحرية كانت قد دمرت مدناً غير محصنة وقتلت عدداً من النساء والرجال والاولاد. . . فخرتبت أن اظهر له ان ما يعتقده خطأ ولكن عبثاً كنت احاول ذلك فسألته اذ ذاك اذا كانت نصائحي الماضية قد جرت عليهم اضراماً ما فأجاب سلباً. فنصحت له اذا ان يتبع مشورتي الآن لاني اعتقد ان عملهم ذلك كان خطأ عظيماً. فقال أنور

لكنني أصدرت الأوامر ولا أقدر ان انفيها واذا فعلت ذلك أخسر مقامي الرفيع في الجيش. ها قد سألتني زوجتي ان أعفو عن أحد خدامها من الجندي فرفضت وطلب اليّ الصدر الأعظم ان اعفو كاتبة الخاص من بعض الواجبات فرددت طلبه. لم اعتد ان انفي اوامري ولن أفعل ذلك. فاذا كنت قادراً ان تريني طريقة اتتمكن ان اساعدك بها دون الغاء الاوامر فأنا مستعد لخدمتك بكل اخلاص. فقلت :

— نعم اتمكن. انا اعتقد انك اذا لم ترسل كل الرجال الانكليز والفرنسويين لا تكون قد انفيت اوامرك فتقدر ان ترسل عدداً قليلاً منهم وفي نفس الوقت تحفظ مركزك الرفيع في الجيش

فشعرت ان انور قد رضي عن ذلك الاقتراح فقال : كم رجل تعني ؟  
فعلت انني قد انتصرت عليه لما سألت ذلك السؤال فأجبت :  
— انا اقترح ان ترسلوا عشرين انكليزياً وعشرين فرنسويًا — اي اربعين رجلاً فقال :

— دعني ارسل خمسين فقلت  
— لا يختلف على عشرة اشخاص . ارسل خمسين ولكن يجب ان تدعني  
انتخبهم فأجاب

— كلا يا حضرة السفير . انك خلصتني الآن من ارتكاب خطأ فادح أفلا تدعني  
أخلصك من ارتكاب خطأ آخر . اليس لك اقتراح غير هذا ؟ فقلت  
— خذ الشبان لأنهم اقدر من سواهم على تحمل المشقات والمصاعب . فصادف  
هذا الاقتراح عنده قبولاً حسناً ولكنه طلب الي ان تترك امر انتخبهم لبدري  
فشعرت اذ ذاك ان كل ما قد بنيتُه قد تهدم لاني كنت قد درست اخلاق  
بدري وطباعه وعرفت شدة بغضه للاجانب وعلمت انه اذا علم بنجاحي قد يستعمل  
ماله من النفوذ فلا يتم الاوامر حسبما اشتحي فسألت انور ان يدعو ويعطيه  
التعليمات اللازمة بحضوري

دخل بدري ولم يكذب يسمع بالتدبير الجديدة مع السفير الاميركي حتى بدت  
على وجهه علامات الغضب فقال :

— كلا لا اقبل بالشبان فقط . يجب ان ارسل بعض الاعيان . لكن انور  
بقي على وعده فأمره ان يرسل خمسين شاباً فقط

علمت اذ ذاك انه لا بد من الاتفاق مع بدري على باقي الامور فسألتُه ان  
يركب معي الى السفارة الاميركية فن تناول الشاي معاً ونهىء معدات السفر  
لاولئك المنكوبين . اما بدري فشعر أنه بدعوتي اياه لمرافقتي الى السفارة قد حصل  
على نخر عظيم ولذلك لم اجده شديداً متصلباً كعادته

وصلنا الى السفارة فوجدنا الجماهير منتظرة نتيجة المواجهة مع انور ولما اخبرتهم  
اننا اتفقنا على ارسال خمسين شاباً فقط اغرورقت عيونهم بدموع الفرح والسرور  
وبالجهد تمكنت ان اتخلص من قوم ارادوا ان يظهروا شكرهم فاستحسنوا كل واسطة  
في سبيل ذلك حتى ان بعض الشيوخ هجموا علي وقبلوني

وحينما اجتمعت مع بدري في المكتب قال :  
— ألا تسمح لي ان ارسل معهم بعض الاعيان ؟ فأجبت  
— اسمح لك رجل واحد فقال  
— ألا تسمح لي بثلاثة ! فأجبت  
— خذ كل الاعيان الذين لا يزيد عمرهم على الخمسين  
واسكن ذلك لم يرق لديه لانه لم يوجد بين الاجانب في الاستانة اعيان دون  
الخمسين . ولكن كان هناك مرسل انكليكاني يدعى الدكتور وينرم الذي الح  
علي ان اسمح له بالذهاب مع المنفيين لكي يعزيهم ويؤاسيهم . فنظرت الى بدري  
وقد جالت هذه الافكار في خاطري وقلت  
— لا اسمح لك الا بالدكتور وينرم . ولما لم ير مناصاً قبل . ثم تبرع مستر  
هفمن فيليب مستشار السفارة اذ ذاك ومندوب حكومة الولايات المتحدة في  
كولومبيا الآن ان يرافق المنفيين فيساعدهم على قضاء حاجاتهم . فاستأذنت له  
ولصحافيين آخرين ان يرافقوا اولئك الشبان  
انبثق الفجر وقد تجمع على المحطة جمهور غفير جاءوا لكي يودعوا اقاربهم  
المسافرين ولما ازفت الساعة المعينة قرع الجرس فصفرت القاطرة وتحركت عجلات  
القطار الى الامام فسار بهم الى ساحة الوغي حاملاً اسرى حرب يستحقون  
كل معاملة طيبة  
رجعت الى بيتي منهوك القوى من التعب العقلي والجسدي ولم اكذ اصل  
اليه حتى علمت ان السفير الالماني بانتظاري فقابلته وبدأنا نتباحث في الشؤون  
المعمومية ثم اقترب مني وطلب الي ان ابرق الى واشنطن بأنه ساعدني على تخفيف  
عدد الاجانب المنفيين الى خمسين . ولكن نظراً لما حدث بيننا من قبل بهذا  
الصدد رفضت طلبه فقال :  
— على الاقل ابرق وأخبرهم اني لم اعرض الا تراك على اتباع خطة اشد من ذلك .  
فرفضت ذلك ايضاً وفعلاً ارسلت برقية مطولة الى نظارة الخارجية في واشنطن  
وأطلعهم على حقيقة الحال . وبعد ذلك بيومين دعاني بالتلفون وبدأ يكلمني وآثار  
الغضب ظاهرة في كل كلمة من حديثه لأن حكومته كانت قد ابرقت اليه واخبرته  
عن رقيتي الى واشنطن بخصوصه . فقلت له انه اذا اراد ان يعرف في الدوائر

السياسية كرجل يحب المساعدة في امثال هذه الامور فالأفضل له ان يحول قوته وتنفذه حيث يكون لها التأثير الأعظم  
ذهب المنفيون وقاسوا في غليبولي من العذاب اشكالاً والواناً على انه لم يعض اكثر من اسبوع حتى بدأت افوضى انور بأمر ارجاعهم  
في تلك الاثناء كان السير ادورد غراي ناظر خارجية انكلترا قد ارسل الى نظارة الخارجية في واشنطن يسألها ان تبرق اليّ لاخبر انور ورفاقه بأن الحكومة الانكليزية سنلتي عليهم شخصياً مسئولية سوء معاملة الاجانب . ذهبت الى انور في ٩ ايار واخبرته عن تلك البرقية ولم أكد اتم قراءتها حتى زجر وهدر لأنه لم يعرف آداب السلوك وصاح : - انهم لن يرجعوا . سأتركهم هنالك حتى ينتنوا . ليغتالي اولئك الانكليز اذا تمكنوا مني  
شعرت اذ ذاك ان افضل طريقة للتأثير عليه وعلى رفاقه هي طريقة الاقتناع فأخذت الاطفة حتى سكن نأثر غضبه فتركته وانصرفت  
قضى المنفيون اكثر من اسبوع في غليبولي ثم رجعوا الى الاستانة لان الاتراك كانوا قد نقلوا مركزهم الحربي منها . وكلهم بصحة حسنة . . .



كنت قد ذكرت قبلاً ان انور وطلعت كانا قد وعدا ان يعاملا الاجانب برفق وتؤدة . ولكن حدث في الاستانة اثناء وجودي فيها عدة حوادث تدل دلالة واضحة على حقيقة اخلاق التركي . سأذكر منها الحادثة الآتية التي تتجسم فيها طادات الاتراك ودسائس الالمان

كنت في احد الايام في مكتب طلعت نتباحث في بعض الشؤون واذا بحرس التلغون قد قرع فنهض طلعت اليه ثم ادار وجهه نحوي وقال انهم يدمونك . اخذت الساعة بيدي واذا بأحد كتاب السفارة يخبرني ان البوليس قبض على السير ادون بيرز Edwin Pears واودعوه السجن . كان السير ادون بيرز رجلاً قد ناهز الثمانين من العمر درس فن الحمامة واشتهر فيه وكتب مقالات عديدة والف كتباً جمة عن تاريخ الشرق وسياسة دوله وكان طلعت وبدري قد وعدا منذ ابتداء الحرب ان لا يعساه بسوء . فنظرت اذ ذاك الى طلعت وقلت

— اهذه قيمة وعودكم ؟ أليس لكم عمل افضل من القاء القبض على رجل فاضل

جليل القدر مثل السر ادون ؟ فضحك طلعت وقال

— لا تغضب . لقد اودعوه السجن منذ بضع ساعات فقط وسأصدر الامر

بإخراجه . فأخذ التافون وسأل عن بدري ولكن هذا لم يشأ ان يظهر نفسه لانه

حنت بوعده فلم يجب

علمت ذلك فقلت لطلعت

— اني سأبقى هنا حتى اعرف مكان بدري . لكن طلعت عبتاً حاول ان يحظى

به . فاخذت التلغون ودعوت احد كتابي وسألته ان يغتش عن بدري ويقول له

بأنني سألقي القبض على طلعت في مكتبه حتى اعلم ان السر ادون اعتق من سجنه .

لم يمض بضع دقائق الا وقرع الجرس ثانية فأذا به بدري يتكلم . فسألت طلعت ان

يقول له باني سأذهب في سيارتي الى السجن وأخرج السر ادون بنفسه فأجاب بدري

— لا تدعه يفعل ذلك لان عمله هذا يجعلني مضغة في افواه الجميع فقلت

— حسناً سأنتظر حتى الساعة السادسة . وفعللاً أطلقوا سراحه في الوقت المعين .

وفي صباح اليوم الثاني جاء السر ادون الى مكنتي فشكر لي اهتمامي بأمره وقال

في عرض الكلام ان السفير الالماني بذل جهده في سبيل اعتاقي فتمجبت اذ لم اهد

في ونفهايم مثل هذه المروءة . وحدث انه في مساء ذلك اليوم التقيت بونفهايم في

المأدبة التي كانت تقيمها زوجتي فسألته اذا كان حقيقة قد استعمل نفوذه في

سبيل اعتاق السر ادون . فأجابني وقد اخذ منه العجب كل مأخذ :

— ماذا ! كيف أساعده وأنا الذي عملت على سجنه . فسألته لماذا فعلت

ذلك فأجاب

— لانه كان في سنة ١٨٧٦ معاكساً لسياسة الحكومة التركية وكتب مقالات

ضافية في جريدة الديلي نيوز عن الفضائح البلغارية

هذه هي تذكارا - الالمان !



## الفصل العشرون

بلغاريا في المزاد

لم يكن انكسار اسطول الحلفاء امام معادل الدردنيل ليبت الحكم في مسألة الاستانة لأن اولي الامر شعروا انه لابد للحلفاء من تجهيز حملة برية يرسلونها على طريق الاستانة التاريخي اي من جهة الشمال الغربي فيكون خطرها كبيراً بعد ان يستميلوا بلغاريا اليهم

وكت مع احد الالمان ذري النفوذ في تركيا في اواخر ايلول ( سبتمبر ) سنة ١٩١٥ نتباحث في مسألة الدردنيل وهجوم الحلفاء وموقف بلغاريا فقال :

— اننا لا نتمكن من صد هجمات الحلفاء في الدردنيل ما لم تساعدنا بلغاريا اي ان الالمان وغيرهم كانوا ينتظرون نجاح حملة الحلفاء البرية والذي جعلهم يوجسون خيفة هو عدم تأكدهم من الخطة التي عزمت بلغاريا على اتباعها . فاذا تم للحلفاء ما يشتهون وساعدتهم بلغاريا في ذلك او على الاقل ان لم تساعد اعداءهم يتمكنون من اختراق الدردنيل ومساعدة روسيا فيقصر اجل الحرب وينتهي بنصر اكيد للحلفاء . وكل من درس هذه الحقيقة المهمة امام الخريطة الجغرافية يتأكد ذلك

بلغاريا هي الدولة الوحيدة المجاورة لتركيا في اوروبا وبلغاريا في ذلك الوقت كانت قادرة على تجنيد ٥٠٠ الف مقاتل بكامل العدد والذخائر والمؤن فلو تمكن الحلفاء من اغراء بلغاريا على مساعدتهم لرحف ذلك الجيش الى الاستانة دون ان يلتقي مقاوم لأن جيوش تركيا كانت مشتتة في غليبولي والقوقاس وسيناء وفضلاً عن ذلك لم تتمكن تركيا من ان تعتمد على حليفها المانيا لتنجدها بالذخائر والمؤن لان الخط الحديدي الذي بينها وبين الاسنانه عر و قلب بلغاريا التي كانت لم تزل مطمح انظار الفريقين والعكس بالعكس . اي اذا تمكنت الدول المركزية من اغراء بلغاريا على مساعدتهم يسهل عليهم ان يجتاحوا سوريا حيث يمر قسم من ذلك الخط الحديدي فيتم الاتصال بين تركيا وحلفائها وتصبح المانيا قادرة على امدادها بالمال والرجال والمدافع وغيرها . فمن هذا يتضح لنا اهمية موقف بلغاريا تجاه سير الحرب الاوروبية الكبرى

كثيرون يعتقدون ان الاتفاق بين المانيا وبلغاريا كان قد تم قبل نشوب الحرب في ١٩١٤ اما انا فلا اعلم الحقيقة المجردة ولكن اعتقد ان الاتفاق بين حكومتي فرديند وغليوم لم ييوم قبل ابتداء الحرب سنة ١٩١٤ واعتقادي هذا مبني على ما رأيته وسمعتة ولا حظته في الساسة الالمان والأتراك وما كانوا يبدونه من الوجل لدى موقف بلغاريا المتقلب واذكر تماماً أن الاعتقاد بعزم بلغاريا النهائي على الانضمام الى الحلفاء بقي سائلاً مدة ليست بالقصيرة في الاستانة (١)

في اواخر آيار (مايو) ١٩١٥ وردت الاخبار ان الميسو كولوشف الصغير البلغاري في الاستانة كان قد انبأ رئيس كلية روبرت بأن التلاميذ البلغار لا يتمكنون من البقاء حتى نهاية السنة المدرسية اذ يتحتم عليهم ان يرجعوا الى بيوتهم قبل الخامس من حزيران (يونيو) . وورد الخبر ذاته الى رئيسة كلية البنات الاميركية

لم يكذ ينتشر هذا الخبر حتى اخذ الكل يتحدثون عن موقف بلغاريا السيامي . هل يدل صحتها هذا على انها ستدخل الحرب — واذا كانت قد عازمت ان تفعل ذلك فالى اي الجانبين تنضم ؟

كثرت الاشاعات وتعددت الآراء وتباينت المذاهب فكنت تسمع اليوم مثلاً ان بلغاريا قد قررت ان تنضم الى الحلفاء وفي اليوم الثاني تسمع عكس هذا الخبر تماماً اي انها عازمت ان تنضم الى الدول المركزية

واخيراً شاع الاعتقاد القائل ان بلغاريا ستتنضم الى الحلفاء وانتشرت هذه الاخبار بسرعة البرق في كل انحاء العاصمة

مضى على ذلك مدة لم التق في اثنائها بميسو كولوشف . ولما رأيته سألتة عما تنويه حكومته بنقل كل التلاميذ والتلميذات المقيمين في العاصمة . فاجاب ان الحكومة البلغارية فعلت ذلك لتقوي تقودها ومركزها في الموقف السياسي العصيب فتشعر المانيا وتركيا انه لا يزال للحلفاء فرصة لاستئثارها ولكنه اكد لي ان بلغاريا كانت تباع في المزاد فالذي يدفع الثمن الاعلى يشتريها من النقط المهمة في السياسة البلغارية هو اهتمامهم باسترجاع مكدونيا التي

(١) وفي مذكرات طامت باشا الملحقه بهذا الكتاب ما يؤيد هذا القول

اراقوا لاجلها دماء ابنائهم في الحرب البلقانية الاولى ثم اضطروا ان يتنازلوا عنها  
لسرييا باشارة من الدول

تلك البلاد كانت بلغارية اللغة والعادات والسكان والرأي الشائع في دوائر  
بلغاريا السياسية هوانة لا توطد اركان السلم في البلقان مالم ترجع تلك البلاد  
لمستحقها

على ان حكومة بلغاريا لم ترض ان يعدها فريق من المتحاربين فقط باسترجاعها  
بل اصرت على احتلالها حالما تدخل الحرب

وعلمت من بعض المصادر التي يوثق بها ان قيادة الجيش البلغاري كانت قد هيأت  
خطة للزحف على الاستانة واحتلالها وكان يقتضي لتنفيذ تلك الخطة نحو ثلاثة  
وعشرون يوماً لكن حكومة بلغاريا لم تكتف بالوعد فقط بل ارادت الاحتلال  
العاجل

كل يعلم حرجة موقف الحلفاء . كانت مكدونيا لا تزال تخص السرب واليونان  
وبالطبع هاتان الدولتان لم تتنازلا عنها الى بلغاريا فاذا اصر ساسة الحلفاء على  
سرييا بتسليم تلك البقعة لبلغاريا بمنأى لانضمامها اليهم قد تعقد سرييا صلحاً منفرداً  
مع الدول المركزية . وزد على ذلك فان حكومة بلغاريا لم تقبل ان تعطي سرييا مقاطعة  
البوسنة والهرسك تعويضاً لها عن مكدونيا ولذلك نشأ في البلقان مصاعب جمة  
ومشاكل عديدة

في ذلك الوقت كان في الاستانة رجل يدعى بول فيتر Paul Weitz  
مراسل اعظم الصحف الالمانية فرانكفورت وزيتمونغ . قضى هذا الرجل نحواً من  
ثلاثين سنة في تركيا فاصبح طارفاً باحوال البلاد وصار ثقة في تاريخها وسياستها .  
وكان لهذا الرجل الخبير منصب غير منصبه كمراسل جريدة - كان مستشاراً خاصاً  
للسفير الالماني ويده اليمنى في كل اعماله

اجتمعت مرات عديدة بفيتر وتباحثنا ملياً في المسألة البلغارية وكان دائماً  
يبدى وجهه تجاه موقفها المتغير لانه لم يكن متأكداً مصيرها النهائي  
ولكن في السابع من ايلول (سبتمبر) اتاني باخبار مهمة قال  
- ان موقف بلغاريا قد تغير فجأة في اليل الماضي

البارون نيوراث مستشار السفارة الألمانية كان قد ذهب الى صوفيا واتفق مع الحكومة البلغارية وامضوا شروط المعاهدة . واصبحت بلغاريا حليفتنا منذ الليل الثابت

والعامل الذي دفع بلغاريا الى اذرع الدول المركزية هو ان المانيا اتفقت مع تركيا على ان تتنازل لبلغاريا عن قطعة ارض تقع بين حدود بلغاريا ونهر المرزا حيث يمر خط السكة الحديدية من دده اغاج نحو صوفيا . وتنازلت ايضا عما يقع من ولاية ادرنه الى غربي نهر المرزا ووعدوها بضم مكدونيا اليها حالما تتمكن الجيوش البلغارية بمساعدة حلفائها من احتلالها

واني اذكر بوضوح تام فرح وابتهاج حينما اخبرني كل ذلك . قال : —

— لقد تم كل شيء — وقد اصبحت بلغاريا حليفتنا

وكأني بدخول بلغاريا في الحرب مع المانيا وحلفائها قد ازاح عبئا ثقيلا عن ظهور الاتراك — وذلك لانهم تأكدوا كسر شوكة اعدائهم مهما قويت في ساحة الدردنيل وغيرها

ولما التقيت بأشور لأول مرة بعد ذلك قال

— لولا الاتراك لما انضمت بلغاريا الى الدول المركزية . نعم قد ضحينا بقسم من بلادنا العزيزة ولكن خلصنا الاستانة من خطر عظيم كان يهددها . فالآن بدلاً من ابقاء ١٠٠٠٠٠ جندي على حدود بلغاريا تقدر ان نستعمل ذلك الجيش في ساحات الحرب الاخرى . ان المانيا تهيء حملة كبيرة ضد سوريا فتجتاحها ومتى فعلت ذلك يسهل عليها ان تمدنا بالمال والرجال والذخائر الحربية

لقد كان خوفنا العظيم من اتفاق بلغاريا واليونان علينا فيؤدي ذلك الى دخول رومانيا فيفتتحوا الاستانة عنوة ويقضوا على تركيا في اوروبا قضاء مبرماً . ولكن الآن بفضل دخول بلغاريا ليس لدينا الا عمل واحد وهو اخراج الحلفاء من الدردنيل وسنعمل ذلك في القريب العاجل انشاء الله .

نعم قد خسرنا قطعة من الارض — ولكن رأينا ان تلك الخسارة تؤدي الى ربح عظيم — الا وهو الانتصار في هذه الحرب الكبرى

\*\*\*

لم يمض على دخول بلغاريا اكثر من ثلاثة اشهر حتى اعترف الحلفاء بانكسارهم

في ساحة الدردنيل فتراجعت قواتهم وقد قطعوا الامل من افتتاح المضائق لانهجاد  
روسيا بالمال والذخائر — فبدت جرثومة الثورة تظهر فيها حتى حدث الانقلاب  
العظيم واصبح وجودها في جانب الحلفاء وعدمه سيان

اخذ الالمان بتسيير القطار من برلين الى الاستانة في السابع عشر من كانون  
الثاني (يناير) سنة ١٩١٦ بعد ان اجتاحت الجنود الالمانية النمسية — البلغارية  
أراضي سربيا فتمكنوا من مساعدة تركيا وخيل الى الالمان ان حلهم بإشياء  
امبراطورية كبرى تمتد من البحر الشمالى الى خليج المعمر قد تم او كاد



﴿ طلعت باشا ﴾

## من مذكرات طلعت باشا<sup>(١)</sup>

### معلومات وثيقة عظيمة الشأن

لم يكن لحكومة تركيا بعد ثورة سنة ١٩٠٧ سياسة خارجية ومنظمة . بل كانت تارة تخطب ودة انكلترا وطوراً تقترب من ممثلي المانيا . كما انقلب حسب أحوال السياسة التي لا تستقر على حال

بعد انتهاء حروب البلقان شعرنا ان خسارتنا للولايات التركية في أوروبا نتجت عن تقلب سياستنا الخارجية ( الامر الذي ترك تركيا بدون أصدقاء تعتمد عليهم وقت الشدة ) ولذلك عزمنا على حل أهم مشاكلنا السياسية أولاً ثم جمع قوانا لاصلاح البلاد اقتصادياً واجتماعياً . كان محمود شوكت باشا اذ ذاك صديقاً أعظم فعين لجنة برئاسة حتي باشا الصدر الاعظم الاسبق وسفير تركيا في المانيا ابان الحرب الكبرى ، ومنحها السلطة المطلقة لعقد الاتفاقات الضرورية لحل تلك المشاكل ، فابتدأ حتي باشا عمله المهم في لندن وبعد ان تم الاتفاق مع حكومة بريطانيا قصد باريس ومنها عزم ان يذهب الى برلين . ولكن عندئذ أرسلت حكومة روسيا الى الباب العالي مذكرة قوية الالهجة طلبت فيها تنفيذ بعض مواد من معاهدة برلين لا لانها تريد الاصلاح او تبغي تحصيل حق مضمون بل لتخاق بذلك سبباً للتدخل في شؤون تركيا

فوجدنا انفسنا ازاء مذكرة روسيا - وهذه اسبابها ومراميها - في موقف حرج جداً . فارسلنا برقية الى حتي باشا طلبنا فيها اليه ان يفاوض حكومة انكلترا بشأن اتفاق تقدر بواسعته ان نحصل على مساعدتها في الولايات الشرقية حيث مصالحنا ومصالح روسيا على طرفي تقيض حتى لا نترك لروسيا مجالاً للمعارضة . فاقترح حتي باشا على حكومة انكلترا ان تبين من قبلها مندوبين ليراقبوا اعمال الاصلاح التي كنا قد عزمنا ان نبدأ بها في تلك الولايات ، فوقع هذا الاقتراح منها موقع القبول وعينت المندوبين واعلنت اسماءهم ، وبذلك بدأ لنا كائن الغيوم الكثيفة المتلبدة في جونا السياسي اخذت بالتبدد والانقشاع . لكن روسيا حينما

(١) ترجمناها في السنة الماضية ونشرها الهلال الاخير

علت بهذا الاتفاق اخذت تستعمل كل ما لديها من النفوذ في دوائر انكلترا السياسية لتلغيه فنجحت ولم يمض وقت قصير حتى اعلمتنا حكومة انكلترا بانها لا تقدر ان تعمل به

### تركيا والمانيا

في تلك الايام كانت حكومة المانيا تخطب ودما وتظهر عطفها على مبادئنا السياسية وتعرض علينا مساعدتها في حل مشاكلنا المتعددة . وحينما طلبنا من مجلس السفراء في الاستانة ان يتوسط بشأن مذكرة روسيا المذكورة آنفاً اشاروا علينا جميعاً ما عدا سفير المانيا بقبول شروط روسيا . ثم ان هذا السفير عرض علينا مساعدته بما له ولحكومته من النفوذ . فبذلك تمكنا من اتمام مساعيها السياسية على رغم مذكرة روسيا التي وضعنا ما فيها من المطالب على قائمة ( لاصلاح العام ) فأدت هذه الحادثة وكثير غيرها الى تكوين حزب كبير في الوزارة العثمانية يعيل الى مصادقة المانيا ويرى فيها المعين المخلص على مشاكل السياسة ومصاعبها وعلى اثر خروجنا من الحرب البلقانية مخذولين بعد ان خسرنا قسماً كبيراً من ولايتنا البلقانية ، حدث خلل في التوازن الحربي السياسي في البلقان . فرأينا من الصواب ان نعقد محالفة مع احد قسسي اوربا الكبيرين - المحالفة الثلاثية او الاتفاق الودي الثلاثي - لكي نسترجع مركزنا الذي فقدناه في حروب البلقان . وكان ما شهدناه من مظاهر الصداقة في اعمال سفير المانيا بشأن مذكرة روسيا وما رأيناه من فتور انكلترا دافعاً لنا على مغالبة سفير المانيا بشأن محالفة المانية تركية . فقبل هذا الاقتراح بما عهد به من الانس والبشاشة وفاوض حكومته بشأنه فكان الجواب ان حكومة المانيا لا تنظر بعين الاهتمام العظيم الى هذه المحالفة لان تركيا ضعيفة ؛ ولكن حكومة المانيا تعتقد انه قد يجيء وقت تصبح فيه هذه المعاهدة ضرورية . وهكذا حبطت مساعيها في البحث عن محالف كبير قوي لان دول اوربا كانت تبحث عن حلفاء اقوياء . ولكن لشدة دهشتنا جددت حكومة المانيا في اوائل سنة ١٩١٤ المفاوضات بشأن عقد محالفة تركية المانية . ولما كالم نفي خطتنا في سياستنا الخارجية لم نر وجهاً لرفض هذا الاقتراح . وبعد المفاوضات مع سفير المانيا في الاستانة اتفقتنا على الشروط وعقدنا محالفة سياسية حربية مع دولته .



وعلى أثر التصديق على هذه المعاهدة وقعت في البوسنة والهرسك الحوادث المؤلمة التي أدت الى اشتعال نار الحرب الكبرى

لما صدقنا على تلك المعاهدة لم يكن منظر أرقع الحرب . ولكن حينما وقعت تلك الحوادث الهائلة علمنا ان المانيا لم تطلب الاتفاق معنا الا لأنها ظنت ان الساعة قد دنت ، وانها نظرت الى المستقبل بعين تخوف حجب الغيب . ومع ذلك كنا نعتقد جميعاً ان تلك المخالفة كانت مفيدة لنا للغاية

### نجنب الدخول في الحرب

ولم تمنح بضعة اشهر حتى رأينا في الحرب ينفخ دول أوروبا فيهب ، وللحال شعرنا بحرج موقفاً ، لأنه بمقتضى المخالفة التي عقدناها قبل وقوع الحرب كان يجب علينا ان نضم الى أحد الفريقين المتحاربين فكان يزورنا في كل يوم سفير المانيا والنمسا ليدأ لنا « أي شيء نقومون غمار الحرب معنا ، فنبرهنون بذلك عن اخلاصكم وتقومون بوعودكم ؟ »

لو شئنا لسكان في امكاننا ان نجيب « ان حكرمه ايطاليا أحد اعضاء المخالفة الثلاثية لم تشهر الحرب على اعدائكم والمانيا ايضاً لم تحترم اعضاءها في المعاهدة التي تقضي ببقاء البلجيك على الحياد » ولكننا كنا نتحاشى جواباً مثل هذا لأنه بمثابة رفض بات لمعاهدتنا الجديدة التي بذلنا في سبيلها كل قوانا . ثم ان رفضنا كان يظهر للهلاً أجمع اننا غرأه لاذ يعتمد علينا أو يوثق بأقوالنا ووعودنا . فلذلك جربنا أن نجيب سفير المانيا بطريقة سياسية جواباً ، يعني الرفض البات ولا التنفيذ العاجل لشروط الاتفاق . فكنا نقول « ان تركيا ستحافظ على وعودها بكل امانة واخلاص وستضم قوتها الى قوة حليفها متى قضت الحاجة لاننا بذلك نكون قد انجزنا وعودنا لكم ودافعنا عن كياننا ضد روسيا التي تتحين الفرص للايقاع بنا . على انه ليس من الحكمة ان نضم قوتنا الى قوتكم وبلغاريا تفصل بيننا ، بل يجب ان نستطلع رأيها أولاً بشأن الحرب فاذا انضمت بلغاريا الى دول الاتفاق يقضى على تركيا قضاء مبرراً لاننا خسرها حروباً ، البلقان كل الماقل ، والحصون وخطوط الدفاع التي كنا نهدد براسختها ان ندرأ اخطاراء دائمة البلقان ، ولكننا قد نتمكن من استمالة بلغاريا لما بينا وبين سربيا من الحقد والمداورة » فكان لهذا الجواب

الحكم نصيبه من التأثير في عقل السفير فتمسكنا من أن نؤجل دخولنا في الحرب حتى نرى ما يكون من أمرها في مقدماتها المختلفة

وكثرت الاشاعات في هذا الحين ومؤداها ان دول الاتفاق عرضت علينا اقتراحات خلافة واننا رفضناها رفضاً باتاً ولكن هذه الاشاعات ليست بالحقيقة الصرفة . بل اصرح انه منذ ابتداء الحرب الكبرى حتى حادثة البحر الاسود ، لم تعرض دول الاتفاق علينا اقتراحاً واحداً رسمياً ، وكل ما فعله سفراء دول الاتفاق انهم جربوا ان يقنعونا بالبقاء على الحياد وانه اذا حافظنا على حيادنا يساعدونا على المحافظة على سلامة الامبراطورية العثمانية ، وهذا الوعد الاخير هو ما كانوا يمنوننا به منذ مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ ( الذي عقد بعد حرب القرم ) ولذلك لم تتمكن من الاعتماد على وعودهم ( يشير الى حادثة المذكرة الروسية المذكورة في اول المقالة ) وخصوصاً بعد ان صادرت حكومة انكلترا المدرعتين العثمانيتين ، عثمان الاول ورشادية اللتين كانتا تبنيان في انكلترا . فقد هاج هذا العمل الرأي العام العثماني الذي ذهب الى ان انكلترا لم تفعل ذلك الا لانها تريد ان تقوي الاسطول اليوناني في البحر المتوسط

كان النصر في اشهر الحرب الاولى حليف الجنود الالمانية ورغم انكسار الماردن بقي خيرو المانيا الحربيون على تفائلهم معتقدين ان النصر النهائي سيكون حليفهم . وفي هذه الاثناء كان سفراء دول الاتفاق يوجسون خيفة من سياسة الباب العالي ، لاسيما بعد قدوم البعثة الالمانية الحربية ولم يكن ليةنعهم تغيير اسمي المدرعتين الالمانيتين غوبن ورسلو ، فكانوا دائماً يحتجون على بقاء البحارة الالمان فيهما ، فشعرنا بقوة حجبتهم وخرج موقفنا ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً سوى الاحتجاج ، لئلا يخرجونا فيخرجونا عن الحياد

#### بلغاريا ورومانيا

ولما ألح علينا الالمان بالاشتراك معهم في الحرب تنفيذاً للمعاهدة المعقودة بيننا ، صمنا على استطلاع رأي الحكومة في بلغاريا أولاً . وحينما اتهمنا ان فعل ذلك فلم يسمعنا سوى القبول . وجمعت الوزارة العثمانية اجتماعاً خاصاً وبعد مناقشات طويلة قرّر الرأي على ارسال بعثة الى بلغاريا للوقوف على رأي حكومتها بشأن الحرب . وعهدت الوزارة الي في الامر فذهبت وابصحيتي خايل بك رئيس مجلس المبعوثان

آنثذ ، فقابلنا الميسو رادوسلافوف رئيس وزراء بلغاريا وميسو حناديف وزير خارجيتها وكان لنا معرفة شخصية بهما . وبعد مفاوضات طويلة فهما ان موقفهم حائد الى الموقف الذي تتخذه حكومة رومانيا . وكانت بلغاريا على تمام الاستعداد لخوض غمار الحرب ضد صربيا ولو عضدت هذه دولة اليونان ولكنها كانت تخاف رومانيا ولا سيما وجيوش روسيا الحاررة على مقربة منها . ولذلك كان يصعب ائناع بلغاريا بالنزول الى ذلك المعترك الهائل قبل ان تثبت من ان حاررتها رومانيا لا تنوى لها اذية . فتركنا صوفيا وبجنا بخارست

كان اذ ذاك فوق كلمان سفير المانيا في بخارست ، وكونت شرين سفير النمسا وميسو رادف سفير بلغاريا وميسو براتيانو رئيس وزراء رومانيا ، فبدأنا حسب الخطة التي رسمناها معاً بزيارة الملك ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ، كل منا على حدة . وفي المساء كنا نجتمع في احدى السفارات لبحث في المعلومات التي حصلنا عليها واثرمم خططنا للنهار التالي . وبعد مباحثات طويلة علمنا ان الحكومة الرومانية كانت تؤثر البقاء على الحياد بل ان ميسو براتيانو وعدنا وعداً شفهياً بان الحكومة تحافظ على الحياد مهما تقلبت سياسة البلقان . ولكن رادوسلافوف طلب وعداً كتابياً . فطلبنا من ميسو براتيانو هذا العهد الكتابي فقال :

« ان رومانيا وعدت العالم بأنها ستحافظ على حيادها في هذه الحرب ، ومملكة صربيا إحدى الممالك المحاربة الآن ، فاذا اعطينا بلغاريا وعداً كتابياً يشجعها على مهاجمة صربيا نكون قد اسأنا استعمال حيادنا وذلك مما نأباه والكني أعداء مشتركيننا نبقى على الحياد ولو وقعت الحرب بين بلغاريا وصربيا »

اما حكومة بلغاريا فلم تشأ ان تخوض بحار الحرب مكفياً بوعدها ، فاذنا انهمي . فعدنا الى الالة حد ان علمنا ان امثمتا تدفقات ... / اعلم هار بلع سفراء الحلفاء في صوفيا ومارست والامانة حمة المناو ات ، وعلى دلاءة نة نة حالاتنا بعد عودتنا كما كانت ...

### اعلان الحرب

ما صرنا يوم الا ازداد موقفنا تمجداً وخصوصاً بعد محيى البعثة الالمانية البحرية وارداد عدد المساط والسحارة الالمان في شوارع الاسانة واندتها

حينئذ وقعت حادثة البحر الاسود. وذلك ان الاميرال سوشون ومعه اقوى  
بوارج الاسطول غادر مقر الاسطول ووجهته البحر الاسود فهاجم الاسطول  
الروسي وأطلق القنابل على بعض المرافئ التجارية. ولم يعلم الباب العالي بهذه الحادثة  
الا بعد وقوعها - خلافاً لما كان يعتقد العامة - وقد كنت اكذب هذه الاشاعة  
ائماء الحرب اما الآن وقد وضعت الحرب اوزارها فأعلن للملأ اجمع اني علمت بوقوع  
هذه الحادثة مثل ما علم كل احد غيري في الحكومة العثمانية - اي بعد وقوعها ،  
وأن الوزارة لم تصادق على هذا العمل ولا اعترف به احد من اعضائها ، بل ان  
حدوثة ساء كل عضو فيها حتى استقال محمود جوروك صولو باشا وسليمان افندي  
البستاني واوسقان افندي ، وصرح جاويد بك بأنه يستقيل اذالم تسو المسألة  
تسوية مرضية. وسعيد حليم باشا الذي كان صدرأ اعظم قبل ان يبق في منصبه الى  
نهاية اجتماع واحد لعل الحكومة تتمكن من ان تصل فيه الى قرار نهائي  
ولكن موقفنا ازداد حرجاً وخطورة . فوقفنا على مفترق الطرق ، اما ان  
ننضم الى الالمانيا ونعتذر الى روسيا بطريقة مقبولة لئلا نفتنتهي المسألة بارجاع السيف  
الى حمده وتوطيد اركان السلام ولو الى حين. فاجتمعنا اجتماعاً خصوصياً في بيت  
سعيد حليم باشا وبعد مناقشات دقيقة فوضنا الى الصدر الاعظم ووزير الخارجية بان  
يجتمعاً بسفراء دول الاتفاق وخصوصاً بسفير روسيا ليبدلا وسعها في انهاء المسألة  
ولكن بعد وقوع الحادثة رفع سفير روسيا احتجاجاً قوي اللهجة وتلته  
احتجاجات سفراء دول الاتفاق . على ان احتجاجي انكلترا وفرنسا أظهرام ميلاً  
الى تصفية المسألة بطريقة ودية ولذلك اقترحا نزع السلاح من المدرعتين غوبن  
وبرسلو وتسريح البحارة الالمان الذين كانوا يعملون فيهما ، وان تضع حكومة  
تركيا حداً لعلاقاتها السرية مع المانيا ، وتحافظ على الحياد التام. فلم تتمكن من  
التسليم بهذه الشروط لان ذلك بمثابة نبذ معاهدتنا مع المانيا  
فاجتمعنا ثانية ودرسنا الحالة درساً دقيقاً . ابدى كلنا الاسف لوقوع الحادثة  
ولكن دول الاتفاق كانت قد علمت اننا ميالون الى مساعدة المانيا ولم يكن لدينا  
منها ما يعتمد عليه من الوعود. فاذا حافظنا على حيادنا سواء أجاز الحلفاء ام خسروا  
كنا من الخاسرين على كل حال لان المانيا تكون قد حققت علينا اعداء قدامنا بعبودنا  
ومساعدتنا لها ، دول الاتفاق - اذا انتصرت - تريد الانتقام منا لاننا كنا مبالين

لمساعدة المانيا . ولكن اذا ضممنا قوانا الى المانيا نكون من الراجحين اذا كنت النصر حليفاً لنا . اما انا فكوطني مخلص لم اشأ ان اطوح بدولي في مهاوي التهلكة . ولذلك تملك مني الاعتقاد انه خير لنا ان ندخل الحرب الى جانب المانيا ولكن كنت اود ان اؤجل ذلك جهدي

وبينما نحن تردد في ماذا يكون موقفنا النهائي ، ازاء هذه الحادثة باخنا ان روسيا تحشد جيوشها في جهة القوقاس فلم تردد بعد ذلك فاشرت على رفاقي في الوزارة ان نعلن الحرب على دول الاتفاق الودعي ، فنال هذا الاقتراح اكثرية الاصوات وعند ما قضى الاجتماع رفضنا شروط السفراء واعلنا انضمامنا الى المانيا تركيا والارمن

اترد اتخذ بعض الكتاب مسألة نفي الارمن ، وفي بعض الجهات اليونان داله وريين ، سبباً للطعن على الحكومة العثمانية . وقبل ان اذكر شيئاً عن موقف الحكومة نحو الارمن اريد ان اصرح بان الاخبار عن هذا النفي مبالغ فيها ، فالارمن واليونان ارادوا ان يستعملوا الشعوب الاوربية والاميركية فصوروا الحالة بصور جاءت غير منطبقة على حقيقة الواقع ، ولا اريد بقولي هذا ان انفي هذه الحوادث ولكن اريد ان انفي ما فيها من مبالغة واغراق

اني انترف انا نفينا كثيرين من الارمن من الولايات الشرقية ولكن لم يكن ذلك حسب خطة رسمناها قبلاً . والتبعة في هذه الاعمال تقع على الارمن لانهم بذلوا ما في وسعهم لمساعدة الجيش الرومي فكانت عصب الاشقياء منهم تتبع آثار الجيش التركي وتعميت في مؤخره فساداً حتى يتمكن منه اعداؤه الروسيون . وقد وجدنا بعد البحث ان كذائهم لم تكن سوى مستودعات للدخار والمؤن والاسلحة . وبهذه الطريقة اهلكوا ٣٠٠٠٠٠ مسلم وقطعوا أسباب المواصلات بين الجيش التركي في مقدمة الحرب ومركز القيادة في القوقاس

وكان يصلنا يومياً تفاصيل عديدة من الولاة وقواد الجيش ، انقواقس عن أعمال كهذه فلم تتمكن من ان تتعاضد عنها ونحن في حرب لها الشأن الاكبر في المحافظة على كياننا ، حتى انه لو حدثت هذه الاعمال ابان السلم لاضررنا ان نبازي الخونة الثائرين . ولم يكن تفهم الا من قبيل منع النكبة قبل وقوعها - الا والنكبة انكسار الجيش التركي وانهيار العرش العثماني

اني اعترف ان النفي لم يجر في كل الاماكن حسب القوانين المرعية والمعترف بها ، وانه حدثت في بعض القرى اعمال غير قانونية ، وما ذلك الا نتيجة البغض الذي اوفر قلوب الفريقيين - الارمن والمسلمين - . نعم كان هناك عدد من اصحاب المناصب في الحكومة اساءوا استعمال سلطتهم ولحق الضرر بعدد كبير من الابرياء ، اعترف بذلك وأقر ايضا بان واجبات الحكومة تقضي بتمقيب المجرمين ومنع وقوع الفظائع ، وقد فعلنا ذلك في بعض الاماكن ولكني اقرا ايضا بانه كان يجب على الحكومة ان تدقق في البحث عن المجرمين وتجازيهم بشدة وعنف . ولكنها لم تقدر ان تفعل ذلك . ومع اننا طاقبنا عدداً من المجرمين فقد بقي العدد الاكبر يسرح ويمرح مطمئناً اميناً . لان القسم الاكبر من الذين ارتكبوا هذه الفظائع كانوا مدفوعين بعامل الحقد على الارمن كما انهم كانوا يعتقدون انه خير للامة ومستقبلها ان يهلكوا . فاذا طاقبنا هؤلاء من رأي العام عايينا وتلتشر القوضي في ير الاناضول وتفشطر الامة الى شطرين في وقت مح فيه بامس الحاجة الى الاتحاد اما من جهة نفي اليونان الموحودين على شواطئ آسيا الصغرى الغربية فلم ننفي الى داخلية الاناضول سوى الذين ثبت لنا عنهم انهم كانوا يمدون غواصات الاعداء بانقون والذخائر . وأما في سوريا فأعلننا الحكم العرفي وطاقبنا الذين كانوا يحرضون الشعب على الثورة

لقد حدثت أمثال هذه الحوادث في كل مملكة في العالم اثناء الحرب ولكن لسوء الحظ لم يراها العالم ولم يسمع بذكرها الا في بلادنا لان اعين الجميع كانت متجهة اليها

# فهرس

صفحة	
٣	مقدمة
٥	الفصل الاول — السفير الالماني
٩	» الثاني — الحكومة التركية وماآرب المانيا
١٥	» الثالث — ممثل القيصر الخاص — تداخل المانيا في شئون تركيا
٢٣	» الرابع — المانيا تعد جيشاً تركيا
٢٦	» الخامس — غوبن وبرسلو
٣١	» السادس — كيف ابتدأت الحرب
٣٥	» السابع — نشر الدعوة الالمانية
٣٨	» الثامن — اقبال الدردنيل
٤١	» التاسع — الغاء الامتيازات
٤٦	» العاشر — دخول تركيا في الحرب
٤٩	» الحادي عشر — الاجانب في تركيا
٥٦	» الثاني عشر — نوتر دام ده سيون
٥٩	» الثالث عشر — المانيا والجهاد
٦٤	» الخامس عشر — جمال باشا — الالمان والصلح
٧٠	» السادس عشر — الهجوم على الدردنيل
٧٦	» السابع عشر — معاقل الدردنيل
٨١	» الثامن عشر — تراجع الاسطول البريطاني
٨٤	» التاسع عشر — الحكومة والاجانب
٩٣	» العشرون — بلغاريا في اللزاد
٩٩	من مذكرات طلعت باشا





# مطبوعات مكتبة الجليل

لصاحبها يوسف توما البستاني بالجملة ثمن ٤٩ ينصر  
يطلب منها الكتب الآتية او ترسلها بالبريد

البدائع والطرائف لجبران خليل جبران مزين بصور من ريشة جبران  
الشاعر الرسام

١٥	نواذر الحرب العظيم وهي قصص واقعية فكاهية
١٢	مذكرات مدام اسكويث تعريب اسعد خليل داغر
١٥	المُرشد الطريف في طالع الجنس الطيف بالصور
١٢	القوة الفكرية في المنطقية الحيوية
٨	غليوم الثاني امبراطور ألمانيا السابق
•	الرحلة السورية في الحرب العمومية
•	الساق على الساق في ما هو الفاريات
٣٠	ماك سويني اللورد محافظ كورك
١٠	رسبتين الراهب المحتال تعريب اسعد خليل داغر
٨	رسائل اليازجي الشيخ ابراهيم اليازجي
١٠	تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى الآن بالصور
١٥	معارضات قصيدة يليل العصب لميسى اسكندر المعلوف
•	الداء والشفاء قصيدتان للعلامة سليمان البستاني
٢	الاختزال العربي بالصور » » »
٤	من اصماق السجون لاوسكار وايله تعريب تقولا يوسف
٤	الدرة الثمينة في عرافة الكوتشينة بالصور
٧	رواية ذات الخدر للمرحوم سعيد البستاني
٥	لودندرف القائد الألماني العظيم تاريخه واعماله بالحرب العظيم
٤	تقشات مسجون تأليف الاب لامينيه الفرنساوي الشهير
١	

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)